



بحوث تاريخية

سلسلة محكمة من الدراسات التاريخية والحضارية

عمارة المسجد النبوي الشريف

دراسة جديدة في ضوء مشاهدات ابن عبدربه الأندلسي

تأليف

د. محمد حمزة إسماعيل الحداد

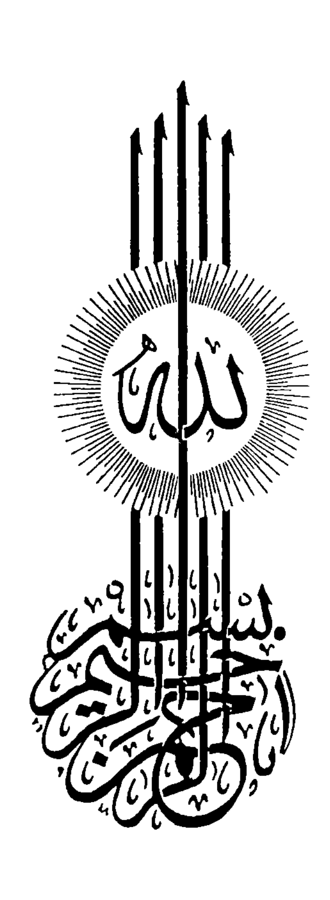
أستاذ العمارة والآثار الإسلامية المشارك

بكليتي الآثار جامعة القاهرة والآداب جامعة الملك سعود

الإصدار الأول

رمضان ١٤١٩هـ - يناير ١٩٩٩م







الهيئة الاستشارية

هيئة التحرير

مدير التحرير

الاشتراك السنوي

العدد شامل أجور البريد

العالم العربي:

الأفراد :	٢٠ ريالاً
المؤسسات :	٤٠ ريالا

خارج الوطن العربي:

الأفراد :	١٠ دولار أمريكي
المؤسسات :	٢٠ دولار أمريكي

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير
الجمعية التاريخية السعودية - المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٢٤٥٦ - الرمز البريدي ١١٤٥١ تلفاكس ٤٦٧٤٩١٣

تقديم

تشهد الجمعية التاريخية السعودية نشاطًا شاملاً لتفعيلها في جميع مايحقق أهدافها، وقد أرادت أن تتوج نشاطها بالإسهام بالمناسبة الوطنية المجيدة "الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة" بتخصيص اللقاء العلمي السنوي لهذه المناسبة، وسوف تنشر أبحاثه بإذن الله لاحقًا. وإحتفالاً بالمناسبة أيضًا اختارتها توقيتًا لفتح قناتين للنشر الأكاديمي المتخصص هما: "الدورية التاريخية"، و "بحوث تاريخية" لخدمة تاريخ المملكة العربية السعودية وتاريخ العرب والمسلمين وحضارتهم وآثارهم.

وتختص "بحوث تاريخية" التي أتشرف بتقديم إصدارها الأول بنشر بحوث منفردة يتميز موضوع كل واحد منها بالجدة في الطرح والمعالجة ويضيف جديدًا إلى المعرفة التاريخية ويلتزم بمنهج البحث التاريخي.

وتكون حجم أبحاثها أقل من حجم الكتاب وأكبر من حجم البحوث التي تنشر بالدوريات العلمية.

وتحيل هيئة التحرير كل بحث من أبحاثها إلى أستاذين مشهود لهم بالكفاءة والتميز العلمي لتقويمه تقويمًا شاملاً، ولايتم نشره إلا إذا أوصيا بذلك.

ولعل من محاسن الصدف أن تبدأ "بحوث تاريخية" أول إصداراتها ببحث عن "عمارة المسجد النبوي" وهو ثاني مسجد تشد إليه الرحال، ومن خصائص روضته أنها من رياض الجنة.

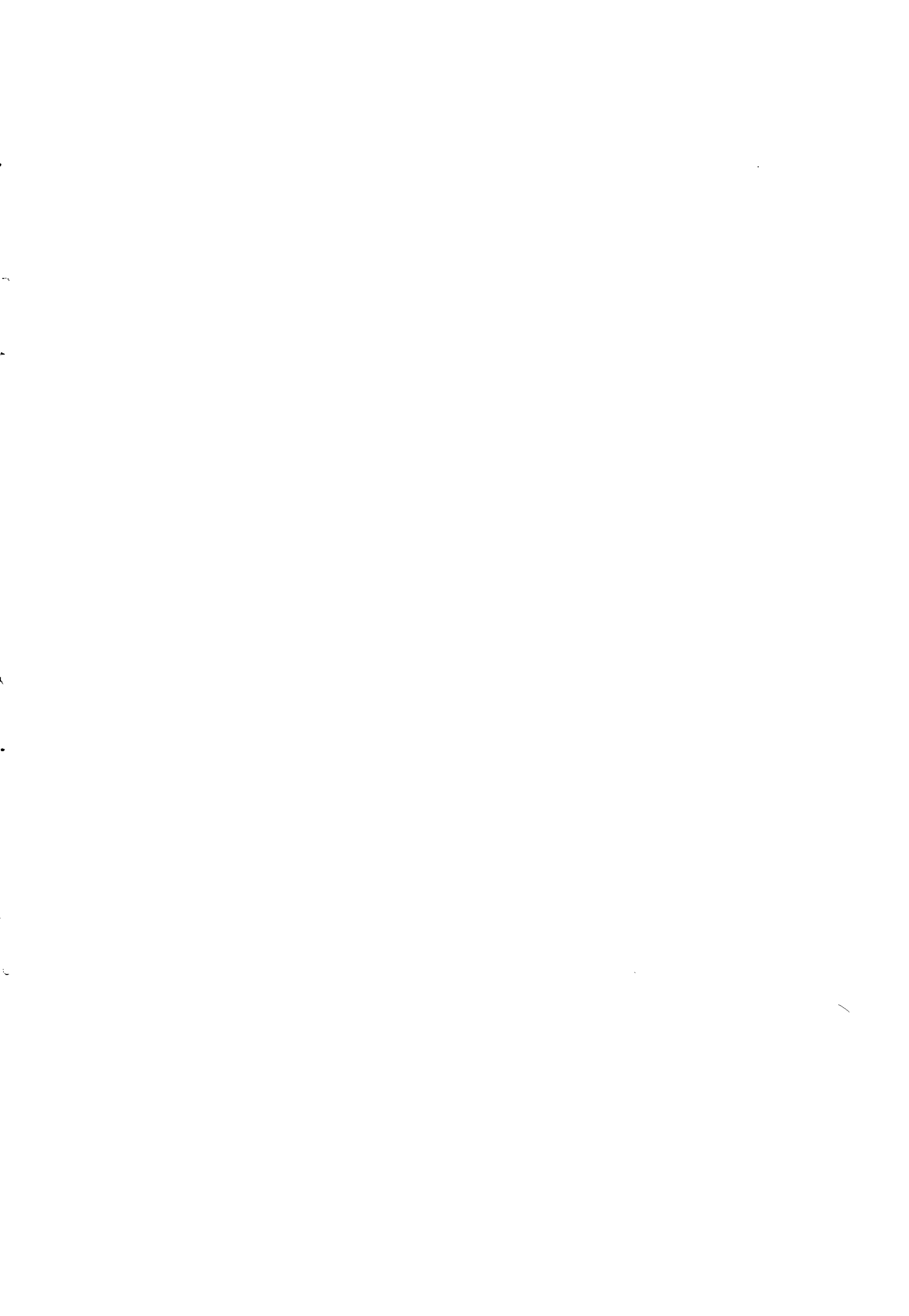
والباحث الدكتور محمد حمزة الحداد أستاذ متمكن بذل من الجهد في الدراسة والتحقيق والتقصي ما هو جدير بموضوع البحث.

ويسرني باسم هيئة التحرير أن أقدم دعوة لزملائي أعضاء الجمعية التاريخية السعودية وغيرهم من المختصين لتقديم أبحاثهم لنشرها في "بحوث تاريخية" أو في "الدورية التاريخية"، كما أتقدم في الوقت ذاته بخالص الشكر إلى الزملاء الكرام الذين أحسنوا بنا الظن ووافونا بأبحاثهم التي سوف تصدر تباعًا إن شاء الله، والشكر موصول لأعضاء مجلس إدارة الجمعية التاريخية على جهودهم الاستثنائية بالدفع ببرامج الجمعية إلى حيز التنفيذ.

والله الموفق

رئيس هيئة التحرير

أ. د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي







بحوث تاريخية

سلسلة محكمة من الدراسات التاريخية والحضارية

عمارة المسجد النبوي الشريف

دراسة جديدة في ضوء مشاهدات ابن عبدربه الأندلسي

تأليف

د. محمد حمزة إسماعيل الحداد

أستاذ العمارة والآثار الإسلامية المشارك

بكليتي الآثار جامعة القاهرة والآداب جامعة الملك سعود

الإصدار الأول

رمضان ١٤١٩هـ - يناير ١٩٩٩م

ⓗ **جامعة الملك سعود ، ١٤١٩هـ**

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحداد، محمد حمزة اسماعيل

عمارة المسجد النبوي الشريف - الرياض

...ص ؛ ٢٤ سم - (سلسلة بحوث تاريخية ؛ ١)

ردمك ٣-٨٩١-٠٥-٩٩٦٠

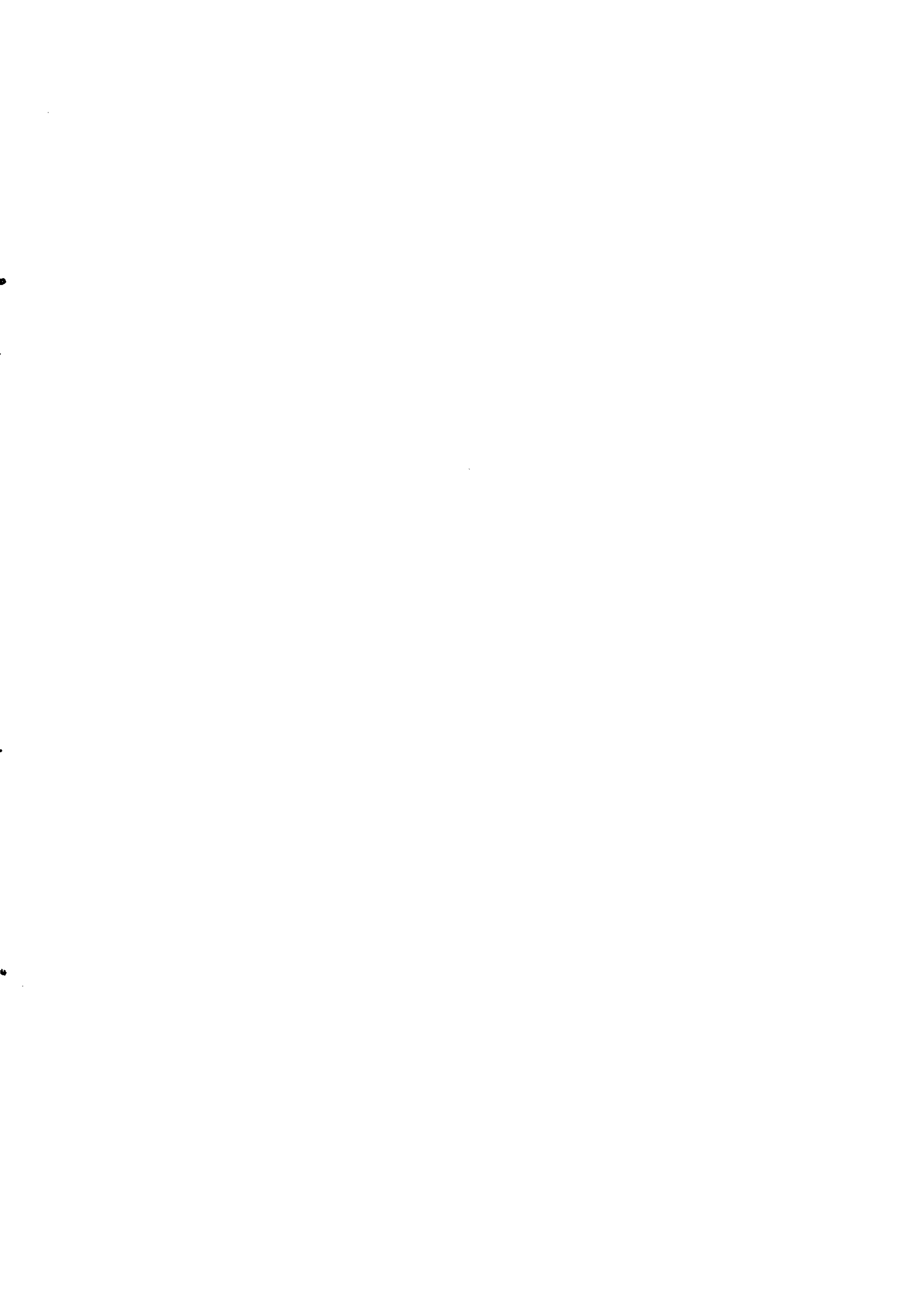
١- المسجد النبوي - تاريخ أ- العنوان

ديوي ٧٢٦,١ ١٩/٣١٨٨

رقم الإيداع : ٣١٨٨ / ١٩

ردمك : ٣-٨٩١-٠٥-٩٩٦٠

الفهرس



مُقَدمة :

يحتل المسجد النبوي الشريف مكانة عظيمة وأهمية كبيرة في التاريخ والحضارة الإسلامية عامة وفي تاريخ المدينة المنورة والعمارة الإسلامية خاصة.

فهو من جهة كان مقراً للحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، وكان ملتقى أهل الرأي والمشورة من أصحابه صلى الله عليه وسلم، وكان منطلق الأحداث الحاسمة في التاريخ الإسلامي، واتخذت فيه قرارات غيرت مجرى هذا التاريخ، ومن جهة أخرى كان نواة المدينة المنورة وقلبها وأهم مكوناتها تأثيراً ووجوداً، إذ شكل تكوين هذه المدينة وتأثرت بمجالاته خطتها واتجاهات نموها، فالتف حوله عمرانها يكتنفه ويحميه، واتجهت إليه شوارعها وحاراتها، وتداخلت معه أحياؤها، وأصبحت بوجوده فيها مذكورة مشهودة، كما كان لنبض حلقاته ومجالسه العلمية الدينية أثر كبير في منحها مركزها الديني المتميز بين سائر المدن العربية والإسلامية[١].

ومن جهة ثالثة يمثل المسجد النبوي الشريف علامة بارزة في تاريخ العمارة الإسلامية عامة وعمارة المساجد خاصة، فقد كان تخطيطه النموذج الأول من نوعه، وهو النموذج الذي انتقل مع الاختلاف في بعض التفاصيل والمفردات إلى أنحاء العالم الإسلامي، وقد اصطلح على تسميته بالتخطيط التقليدي[٢]، أو التخطيط العربي[٣]، وغير ذلك من مصطلحات[٤].

(١) رجب، عمر الفاروق السيد، المدينة المنورة، جدة، دار الشروق، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص ص ١٩٣ - ١٩٤.

(٢) شافعي، فريد، العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٠م)، ص ٣٧٣.

(٣) Ferrier, R.W, The Arts of Persia, London, Yale University Press, New Haven, (1989), P. 81.

وفضلاً عن ذلك، يُعّد المسجد النبوي الشريف ثاني المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال والصلاة فيه أفضل من ألف صلاه فيما سواه إلا المسجد الحرام صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ثم فهو محط آمال تهفو إليه قلوب المسلمين وتتجه إليه أفئدتهم من كل حدب وصوب رغبة في الأجر وطمعا في الثواب، لذا يود كل مسلم أن يتعرف على أهمية هذا المسجد التاريخية والحضارية وفضائله وآدابه وعمارته ومعالمه وتوسعته، ومن هنا حظى بالعديد من الدراسات في شتى المجالات، غير أن الذي يعنينا منها، في هذا المقام، هي تلك الدراسات الآثارية المعمارية التي تتبعت عمارة هذا المسجد الشريف ومراحل تطوره وتوسعته والزيادة فيه(٥)، فضلا عن تحليل أصوله

(٤) ومن هذه المصطلحات الأخرى مصطلح " طراز البناء القائم على الأعمدة " أو " مسجد الصحن ذي الأعمدة " أو طراز المسجد المعمّد" أي الذي يرتكز سقفه على صفوف من الأعمدة، وقد وردت هذه المصطلحات الثلاثة، وكلها ذات معنى واحد، في بحوث العالم المعروف " اوليج جرابار " ومنها: العمارة والفن، ضمن كتاب " عبقرية الحضارة العربية " ينبوع النهضة، ترجمة صلاح جلال وآخرون كمبردج، لندن، مطبعة معهد ماسا تشوسيتس للتكنولوجيا، (١٩٧٨م)، ص ٩٦، العمارة، ضمن كتاب " تراث الإسلام " القسم الثاني، ترجمة حسين مؤنس، إحسان صدقي العمد، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ط٢، (١٩٨٨م)، ص ص٣٧١-٣٧٢، ٣٧٦ - ٣٧٧، عبد الحميد، سعد زغلول، العمارة والفنون في دولة الإسلام الاسكندرية، منشأة المعارف، (١٩٨٦م)، ص ٢٤٣، ومنها أيضاً مصطلح " التخطيط أو النموذج النبوي ذو الصحن والظلات " وقد أطلقة أيضاً العالم فريد شافعي (يرحمه الله) في ابحاثة وكتبة ومنها: العمارة العربية الإسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، الرياض، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، (١٩٨٢)، ص ص ١١، ٨٢، ١٤١.

(٥) مما تجدر الإشارة إلية في هذا المقام، أنه توجد العديد من الدراسات العربية الحديثة عن تاريخ المسجد النبوي الشريف وتطور عمارته وتوسعته عبر التاريخ، إلا أنه يلاحظ أن أصحاب هذه الدراسات، ليسوا من بين المتخصصين في مجال الأثار الإسلامية عامة والعمارة الإسلامية خاصة، ولذلك إعتمدوا على ما ورد في=

وإبراز سماته وخصائصه في كل مرحلة من المراحل منذ إنشائه على يد النبي صلى الله عليه وسلم وحتى الآن.

وعلى الرغم من أنه لم يتبق أي أثر من عمارة المسجد الشريف فيما قبل العصر المملوكي، إلا أن هذه الدراسات قد اعتمدت في المقام الأول وبصفة رئيسة على العديد من المصادر التاريخية المتنوعة التي دونت وسجلت كل صغيرة وكبيرة في المسجد خلال المراحل التاريخية المتعاقبة، ومن هذه المصادر كُتب السنة المطهرة والسيرة النبوية الشريفة وكُتب تاريخ المدينة ومسجدها وكُتب المناسك والمنازل فضلا عن كُتب الرحالة وكُتب الحوليات وغير ذلك[٦].

=المصادر التاريخية من جهة وعلى الدراسات والبحوث الآثارية المعمارية من جهة أخرى، وحسبنا أن نشير إلى بعض ما صدر من هذه الكتب خلال العقدين الأخيرين ومنها: بكر، سيد عبد المجيد، أشهر المساجد في الإسلام، ج١، جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص ص ٢٠٠ – ٢٢٦، الوكيل، محمد السيد، المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، جدة، دار المجتمع، (١٩٨٨م)، حميدة، محمد، عمارات المسجد النبوي وتوسعته عبر التاريخ، مؤسسة المدينة، العدد ٧٧، (شعبان١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، حسن، ناجي محمد، عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، المدينة المنورة، إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي، الكتاب رقم ٩٥، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، عبد الغني، محمد الياس، تاريخ المسجد النبوي الشريف، المدينة المنورة، مطابع المجموعة الاعلامية، ط٢، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

(٦) عن أهم هذه المصادر انظر:
La Mosquee Omeyyade De Medine, Paris, Editions. Sauvaget, J et d'Histoire, (1947) PP. 7-39.
بورويبه، رشيد، مسجد المدينة في حدائق الكتب الثمينة، ضمن كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الأول، تحرير عبد الرحمن الأنصاري وآخرون، مطبوعات جامعة الرياض، (١٣٧٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص ص ١٨٣ – ١٩٧
كما ورد ذكر هذه المصادر أيضاً في بعض الدراسات المتعلقة بالمدينة المنورة وخططها ومصادرها ومن بينها: الجاسر، حمد، رسائل في تاريخ المدينة، الرياض، دار اليمامة، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ص ص ٤٠ – ٤٤، الفيروز أبادي، مجد الدين=

وعلى ضوء ما ورد في تلك المصادر أصبحت لدينا فكرة واضحة وتصور يكاد يكون كاملاً عن عمارة المسجد النبوي الشريف في جميع مراحله، وهو الأمر الذي كان من نتيجته قيام عدد من العلماء والباحثين المحدثين، عربا كانوا أم أجانب، بوضع المشروعات الهندسية التي تعكس تصورهم لما كان عليه تخطيط وعمارة المسجد النبوي الشريف في جميع مراحله، غير أن الذي يعنينا من تلك المشروعات هو ما يخص منها تخطيط المسجد في العصرين الاموي والعباسي -أي عقب عمارته في عهد كل من الخليفتين الوليد بن عبد الملك والمهدي بن أبي جعفر المنصور- لارتباط ذلك وصلته بموضوع دراستنا.

ويعالج هذا البحث بالدراسة والتحليل ثلاث نقاط رئيسة وهي:-

اولاً: ابن عبد ربه وَعِقْدُهُ.

ثانياً: عمارة المسجد النبوي الشريف وتخطيطه في ضوء وصف ابن عبد ربه ومقارنة ذلك بما انتهت إليه الدراسات الآثارية السابقة.

ثالثاً: عمارة المسجد النبوي الشريف وتخطيطه بعد ابن عبد ربه وحتى الربع الأخير من القرن ٦هـ / ١٢م.

وفيما يلي نتناول هذه النقاط ونتتبع كل منها على حده:

=أبي الطاهر، ت ٨٢٣هـ/ ١٤١٥م، المغانم المطابه في معالم طابة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، مقدمة التحقيق، ص ص، (هـ - ل)، العلي، صالح أحمد، الحجاز في صدر الإسلام، دراسات في أحواله العمرانية والادارية، بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص ص٢٣ - ٦٠، شراب، محمد حسن، مصادر تاريخ المدينة المنورة، ضمن كتاب دراسات حول المدينة المنورة، إصدارات نادي المدينة المنورة الادبي، المدينة المنورة، الكتاب رقم٩٨ (١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م) ص ص٣٢٥ - ٣٤٢، عسيلان، عبد الله عبد الرحيم، وقفات مع مؤرخي المدينة المنورة عبر العصور، ضمن كتاب دراسات حول المدينة المنورة المشار إليه سابقاً،ص ص ٣٤٣ - ٣٦٨.

اولاً : ابن عبد ربه وَعِقْدُهُ :-

ليس ابن عبد ربه بالنكرة المجهولة التي تحتاج إلى تعريفٍ، فهو أشهر من أن يعرف، ولذلك حسبنا أن نقدم نبذة موجزة عنه وعن كتابه الشهير الموسوم بـ " العِقْدُ الفريد " وذلك قبل أن نتطرق للإجابة على بعض الأسئلة المهمة المتعلقة بموضوع بحثنا، وهذه الأسئلة هي: هل اعتمد ابن عبد ربه في وصفة للمسجد النبوي الشريف على المشاهدة والرؤية ؟ أم أنه كان مجرد ناقل لهذا الوصف عن غيره ممن سبقه ؟ أم أن ذلك الوصف قد دس من بين ما دس في الكتاب بعد وفاته في عام ٣٢٨هـ / ٩٣٩م؟.

أما عن ابن عبد ربه فهو أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم القرطبي، ولد على الأرجح في قرطبة نفسها في العاشر من رمضان عام ٢٤٦هـ /٨٦٠م، وقد درس علوم عصره أنذاك من نحو وعروض وفقة وتفسير وتاريخ وأدب، ومن شيوخه ابن مَخْلَدَ [(٧)] (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) والخُشنَى[(٨)] (ت ٢٨٦هـ /٨٩٩م) وابن وضاح[(٩)] (ت ٢٨٧هـ

(٧) هو الحافظ بقي بن مَخْلَد بن يزيد أبو عبد الرحمن القرطبي الاندلسي، احد الاعلام وصاحب التفسير والمسند، وكان إماما زاهدا صواما صادقاً، كثير التهجد، مجاب الدعوة، مجتهداً، لايقلد بل يفتي بالأثر، وكانت وفاته في عام ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م.، المقّري، أحمد بن محمد، ت ١٠٤١ هـ/ ١٦٣١م. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، مج٢، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ص ٤٧ ترجمه رقم ١٣ ، ص ص ٥١٨ – ٥١٩، ترجمة رقم ٢٠٩ .

(٨) هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام القرطبي من ذرية أبي ثعلبة الخُشنَي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم " كان فصيحا جزل المنطق، صارما، أنوفا، وأدخل الأندلس علما كثيراً من الحديث واللغة والشعر، وكانت وفاته في عام ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م. المقّري، نفح الطيب، مج٢،ص ٢٣٦، ترجمة رقم ١٤٨ .

(٩) هو أبو عبد الله بن وضاح بن بزيع القرطبي، مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية، روى بالأندلس، ثم رحل إلى المشرق رحلتين سمع فيهما من كبار الزهاد والمحدثين،

/ ٩٠٠م)، كما كان ابن عبد ربه على صلة بأمراء عصره ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (ت ٢٧٣هـ / ٨٨٦م) والمنذر بن محمد (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، وعبد الله بن محمد (ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م) وعبد الرحمن الناصر بن محمد (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م) في إمرته وخلافته. وتوفي ابن عبد ربه في الثامن عشر من جمادى الأولى عام ٣٢٨هـ / ٩٣٩م[١٠].

أما عن كتابه المشار إليه سابقاً فيرى البعض أن الاسم الأصلي له هو العِقْدُ فحسب، أما نعته بالفريد فهو إضافة متاخره يرجّح أنها وقعت فيما بين عامي ٦٥٢ -٨٥٠هـ / ١٢٥٤-١٤٤٦م[١١] .

هذا ويشتمل هذا الكتاب على خمسة وعشرين كتابا إنفرد كل كتاب منها باسم جوهره من جواهر العِقْدُ بحيث يقع على كل من جانبي واسطة العِقْدُ إثنتا عشرة جوهره، كل منها سميت بإسم التي تقابلها من الجانب الأخر، وبذلك تكون أولى جواهر العِقْدُ وأخراه على إسم واحد، ففي العِقْدُ إذاً

= وكانت وفاته في عام ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م، هذا ويعتبر ابن وضاح وبقي بن مخلّد مُدخلي علم الحديث والبصر بطرقه وعلله إلى الأندلس. ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققة وقدم له وعلق عليه محمود علي مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص٤٤١ حاشية رقم ٧١.

(١٠) ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد، ت ٦٨١هـ/١٢٨١م، وفيات الاعيان وإنباء أبناء الزمان، مج١، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دارصادر، (١٩٦٨م)، ص ص١١٠ - ١١٢، ابن العماد الحنبلي، أبي الفلاح عبد الحي، ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٧م شذرات الذهب في أخبار من ذهب، جـ٢، بيروت، دار احياء التراث العربي، د.ت، ص٣١٢؛ أمين، أحمد، "العِقْدُ الفريد"، مجلة الثقافة، السنه ٢، العدد ٩٤، (الثلاثاء ١٣ رمضان ١٣٥٩هـ/ ١٥ أكتوبر ١٩٤٠م)، ص ص ١٧٣٦-١٧٤٠، جبور، جبرائيل، ابن عبد ربه وعِقْدُهُ، بيروت، دار الافاق الجديده، ط٢،(١٩٧٩م)، ص ص ٢٢ - ٤٦.

(١١) ابن عبد ربه، العِقْدُ الفريد، جـ١، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، دار الفكر، ط٢، (١٩٥٧م)، مَقدمة التحقيق، ص (ن)، جبور، ابن عبد ربه وعِقْدُهُ، ص٥٠.

لؤلؤتان وزبر جدتان وياقوتتان وجمانتان وجوهرتان وزمردتان ودرتان وفريدتان ويتيمتان وعسجدتان ومجنبتان[(١٢)] .

وقد أوضح ابن عبد ربه منهجه في التأليف في مُقَدَّمة الكتاب فذكر أنه تخيره من " متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان" وأن ليس له إلا "تأليف الاختيار وحسن الاختصار وفرش لدرر كل كتاب" وأنه " تطلب نظائر الكلام وأشكال المعاني فقرن كل جنس منها إلى جنسه، وجعل كل جنس بابا على حدته ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره في كل باب وأنه عمد في اختياره من جملة الأخبار وفنون الآثار إلى أشرفها جوهرا وأظهرها رونقا وألطفها معنى وأجزلها لفظة وأحسنها ديباجة واكثرها طلاوة وحلاوة، وأنه رأى الكتب قبله قاصرة فجعل كتابه هذا كافيا جامعا لأكثر المعاني التي تجري على أفواه الخاصة والعامة وتدور على ألسنة الملوك والسوقه، وأنه أتبع ذلك بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها وقرن بها غرائب شعره"[(١٣)] .

ومما يؤخذ على ابن عبد ربه أنه كان يرى عدم أهمية الإسناد في الأخبار، ولذلك فهو يقول في مُقَدَّمة الكتاب أيضاً " وحذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلبا للإستخفاف والايجاز وهربا من التثقيل والتطويل لأنها أخبار مُمتعة وحِكَمٌ ونَوادر لاينفعها الاسناد باتصاله ولا يَضُرها ما حذف منها[(١٤)] .

(١٢) جبور، ابن عبد ربه، ص ص٥٠ - ٥١.

(١٣) ابن عبد ربه، العقْدُ الفريد، جـ١، تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، ص ص ٤ - ٦.

(١٤) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ١، ص ص٥ - ٦. ويرى البعض أن الغاية الأدبية لدى ابن عبد ربه هي التي دفعت به إلى إهمال الإسناد وحببت له الإختصار، كما أنها من جهة أخرى المسئولة عن كثير من نقاط الضعف التاريخي التي نراها في الكتاب، جبور، ابن عبد ربه، ص ٨١.

ومهما يكن من أمر فإن هذا الكتاب يعد من المصادر الأولية المهمة التي يرجع إليها الباحثون في تاريخ العرب السياسي والاجتماعي والأدبي وغير ذلك، وقد امتاز عن كثير من الكتب القديمة بتبويبه وحسن ترتيبه واختياره، كما أن له قيمة تاريخية أخرى من حيث الرجوع إليه عند نشر بعض الكتب التي أخذ عنها أو التي أُخذت عن رواه استند إليهم[١٥] .

وقد أدرك الناس من قديم قيمة هذا الكتاب فأحبوه وعكفوا على مطالعته واقتبسوا منه، واستعانوا به في تأليفهم ومحاضراتهم ومحفوظهم ورووا منه في ملحهم ونوادرهم.

وعلى الرغم من كثرة نسخ هذا الكتاب سواء المخطوطة أو المطبوعه، إلا أن غالبيتها ملئ بالتحريف والتصحيف والنقص والزيادة كما صرح بذلك الكثير من العلماء والباحثين -وسوف نشير إلى ما يؤكد ذلك في ثنايا البحث بمشيئة الله تعالى- وهو الأمر الذي دفع البعض إلى إصدار سلسلة من الكتب الهدف منها إصلاح هذا الكتاب وتحسينه واستخلاص أجودما فيه، ومن هذه الكتب ماعرف بإسم مختار العِقْدُ الفريد[١٦] أو المنتقى المفيد من العِقْدُ الفريد[١٧].

وبعد فإنه لم يبق أمامنا هنا سوى أن نجيب على الأسئلة التي طرحناها من قبل.

---

(١٥) جبور، ابن عبد ربه، ص٧١-٧٣.

(١٦) ابن عبد ربه، مختار العِقْدُ الفريد، بيروت مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

(١٧) ابن عبد ربه، المنتقى المفيد من العقْدُ الفريد، خرج أحاديثه وانتقاه وعلق عليه أبوالوليد صالح بن علي السلمي التَميمي، الرياض، مكتبة التوبة، (١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م).

وبادئ ذي بدء نذكر أن الكثير من العلماء والباحثين يرون أنه لم تعرف عن ابن عبد ربه رحلة إلى غير بلاد الأندلس، حيث لم يعرض أحد ممن ترجموا له للحديث عن رحلةٍ له إلى المشرق[١٨]، كما أن المقّري لم يذكره ضمن من رحل من الأندلسيين إلى المشرق، بل ولم يشر إلى شئ من هذا الأمر رغم أنه كان معروفاً عنده وذكره في كتابه نحو عشر مرات أو أكثر ونقل ترجمته عن الفتح بن خاقان وذكر كثيرا من شعره ونسب إليه رجالاً متأخرين ذكرهم في كتابه[١٩].

والحق أن المقّري لم يحصر جميع من رحل إلى المشرق وهو يشير إلى ذلك بقوله "إن حصر أهل الارتحال لايمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم ذلك على الإحاطه إلاعلام الغيوب الشديد المحال، ولو أطلقنا عنان الأقلام فيما عرفناه فقط من هؤلاء الاعلام لطال الكتاب وكثر الكلام ولكنّا نذكر منهم لمعا على وجه التوسط من غير إطناب داع إلى الملال واختصار مؤد للملام"[٢٠].

ويمكن من خلال ما أورده ابن عبد ربه نفسه في كتابه من إشارات، أن نستنبط بعض الأدله التي يستدل منها على أن وصفه كان مبنيا على المشاهدة والرؤية.

ومن هذه الإشارات ما ذكره من وصفٍ للحجر الأسود حيث قال: "والحجر الأسود على رأس صخرتين من وجه الأرض، قد نحت من الصخر مقدار ما أدخل فيه الحجر، وشُقّت الصخرة الثالثه عليهما مثل إصبعين، والحجر أملس مجزَّع حالك السواد في قدر الكف المحنيّة قد لز من جوانبه

(١٨) ابن عبد ربه، العِقْدُ الفريد، جـ١، تحقيق محمد سعيد العريان، مقدمة التحقيق، ص(هـ)
(١٩) جبور، ابن عبد ربه، ص١٤٢.
(٢٠) المقّري، نفح الطيب، مج٢، ص٥

بمسامير الفضة"[٢١].

ثم يضيف فيذكر: "وفيه أي الحجر الاسود صدوع وفي جانب منه صفيحه فضة، حسبتُها شظيةً منه شُظيت فجبرت بها، وصخر الركن الأسود أحرش أكبر من صخرنا قليلاً"[٢٢] .

ويدل هذا الوصف على أن ابن عبد ربه كان شاهد عيان، إذ وصف ما رأه وصفا أمينا صادقا، بل وقارن بين صخر الركن الأسود والصخر الموجود في بلاده -أي الأندلس-، ونستطيع أن نحدد تاريخ هذه الزياره وذلك الوصف بأنه قبل عام ٣١٧هـ / ٩٢٩م، حيث أن الحجر الأسود في هذا العام قد قلعة القرامطة من موضعه وأخذوه معهم إلى بلادهم واستمر عندهم نحو إثنين وعشرين عاماً[٢٣].

ومما يؤكد أنه كان شاهد عيان أيضاً ما ذكره عن حَمَام المسجد الحرام

(٢١) ابن عبد ربه، العِقْدُ الفريد، جـ ٦ ، تحقيق أحمد أمين وآخرون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م)، ص ص ٢٥٦ - ٢٥٧. هذا وقد وردت لفظة (وشقت) في بعض النسخ المحققة الأخرى (وأشقت) انظر: الجزء السابع - تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، دار الفكر، ط٢، (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م)، ص٢٤٨، والجزء السابع - تحقيق عبد المجيد الترحيني، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، ص ٢٨٤.

(٢٢) ابن عبد ربه، العِقْدُ الفريد، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٥٧، جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٤٨، حـ ٧، تحقيق الترحيني، ص ٢٨٤.

(٢٣) الزيلعي، أحمد عمر، مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١ - ٤٨٧هـ)، الرياض، عمادة شؤون المكتبات - جامعة الرياض (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص ص٢٨ -٣٢، دي خوية، ميكال، القرامطة، ترجمة وتحقيق حسني زينة، بيروت، دار ابن خلدون، ط٢ (١٩٨٠م) ص ص٩٣ - ٩٩، ١١٦ - ١٢٠، عثمان، سعد، الجميعي، عبد المنعم، الإعتداءات على الحرمين الشريفين عبر التاريخ، القاهرة، مطبعة الجبلاوي، (١٩٩٢م)، ص ص٤٦ - ٥٣

بقوله: " وحَمَام المسجد كثير أنيس، يكاد الإنسان أن يطأه بقدمه لأنسه بالناس وهو في لون حمام الأبرجه عندنا -أي الأندلس- إلا أنه أقدر منه، وليس منه حَمَامه تجلس على البيت ولا تطير عليه، ولقد همني ذلك فرأيتها حين تكاد أن تحاذي البيت وهي مستعلية في طيرانها ذلك، عكست حتى تصير دونه، وأخذت عن يمينه أو يساره، وزَرْقها ظاهر بارز على البيوت التي في المسجد، إلا بيت الله الحرام فإنه نقي ليس فيه ولا عليه منه أثر فسبحان مُعَظِّمه ومُقَدِّسه ومُطَهِّره وتعالى علوا كبيراً"[٢٤].

ومن الإشارات المهمة أيضاً ما ذكره عن منى بقوله "وبها مسجد أكبر من جامع قرطبة، وهو مسجد الخيف له مما يلي المحراب أربع بلاطات معترضة -أي موازية لجدار القبلة- سقفها من جرائد النخل وعمدها مجصَّصة والمنبر على يسار المحراب والباب الذي يخرج منه الإمام عن يمينه.... "[٢٥].

ويدل هذا الوصف على أنه كان شاهد عيان، أما بخصوص ما ذكره من أن مسجد الخيف[٢٦] أكبر من جامع قرطبة فهو أمر تؤيده الأدلة التاريخية والأثرية حيث أن جامع قرطبة لم يصبح من بين المساجد الكبيرة في العالم

---

(٢٤) ابن عبد ربه، العقْدُ الفريد، جـ٦، تحقيق أحمد أمين، ص٢٥٩، هذا وقد وردت لفظة (وعكست) في بعض النسخ المحققة الأخرى (وغطست) انظر:جـ ٧، تحقيق العريان، ص٢٥٠، جـ٧، تحقيق الترحيني، ص٢٨٦.

(٢٥) ابن عبد ربه، العقْدُ الفريد، جـ٦، تحقيق أحمد أمين ص٢٦٠، جـ٧ -تحقيق العريان-، ص٢٥١، جـ ٧ تحقيق الترحيني، ص ٢٨٧.

(٢٦) عن مسجد الخيف انظر: بكر، أشهر المساجد، ص ص ١٥٤ - ١٦٥، البركاتي، ناصر، نيسان، محمد، دراسة تاريخية لمساجد المشاعر المقدسة، مسسجد الخيف، مسجد البيعة بمنى، دار المدني (١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م)، ص ص ٥٤ - ١٩٩؛ يوسف، عواطف محمد، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ص ص ٣٦٩ - ٣٧١.

الإسلامي، إلا بعد وفاة ابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) بما يقرب من نصف قرن وذلك بعد زيادة كل من الحكم المستنصر ٣٥١-٣٥٤هـ / ٩٦٢-٩٦٥م والمنصور بن أبي عامر ٣٧٧هـ / ٩٨٧م[٢٧].

ومما يؤكد أنه كان شاهد عيان أيضاً ما ذكره عند حديثه عن المنبر في المسجد النبوي الشريف بقولة " وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما في منابر زماننا الآن "[٢٨].

وما ذكره أيضاً عند حديثه عن الإزارات الرخامية التي تكسو جدار القبلة في المسجد النبوي الشريف بقوله إن بكل من الإزارين الأول والثالث أربعة عشر بابا في صف من الشرق إلى الغرب في تقدير كُوى المسجد الجامع بقرطبة...."[٢٩].

مما تقدم يمكن القول أن ابن عبد ربه قد اعتمد في وصفه على المشاهدة والرؤية، ومن المرّجح أن ذلك حدث أثناء وجوده لأداء فريضة الحج وزيارة

(٢٧) عن هذه الزيادات وتفاصيلها انظر، فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، المدخل، القاهرة، دار المعارف، (١٩٦١)، ص ص ٢٤٦ - ٢٤٧، سالم، السيد عبد العزيز، المساجد والقصور في الأندلس، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، (١٩٨٦م)، ص ص٢٣ - ٢٨، مورينو، مانويل جوميث، الفن الإسلامي في اسبانيا، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ولطفي عبد البديع، مراجعة جمال محرز، ، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ط٢ (١٩٩٥م)، ص ص١٠٧- ١١٤، ١٨٨ - ١٨٩.، الريحاوي، العمارة في الحضارة الإسلامية، جدة، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص ص٣٥٤ - ٣٥٩.،
Castejan , R ,La Mezquita al Jama de Cordoba , Spain, (1979), PP. 25-29.

(٢٨) ابن عبد ربه، العِقْدُ الفريد، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين ص٢٦٢، جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٣، جـ٧ تحقيق الترحيني، ص٢٨٩.

(٢٩) ابن عبد ربه، العِقْدُ الفريد، جـ٦، ص ص ٢٦٠ - ص٦١، جـ ٧ تحقيق العريان، ص٢٥٢، جـ ٧ تحقيق الترحيني، ص ٢٨٨.

المسجد النبوي الشريف قبل عام ٣١٧هـ / ٩٢٩م -أي قبل نقل القرامطة للحجر الأسود كما سبق القول-، وفي ضوء ذلك يتضح أن ابن عبد ربه قد رحل إلى المشرق وبخاصة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوي الشريف، إلا أنه لم يدون ذلك في رحلة على غرارما فعله غيره من المغاربة والأندلسيين[٣٠]، بل اكتفى بتضمين كتابه مشاهداته ووصفه للحرمين الشريفين في الجزء المتعلق بتفاضل البلدان من كتاب الزبر جدة الثانية في بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان[٣١].

ونضيف على ذلك فنذكر أن هذا الوصف يجعلنا نعد ابن عبد ربه في مصاف أعظم الرحالة المغاربة والأندلسيين، كابن جبير وابن بطوطه وغيرهم، فهو يعد أشمل وأدق وصف معروف لدينا للمسجد النبوي الشريف قبل عام ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، ولا سيما فيما يخص تخطيط مُقَدَّم المسجد وكسوته الزخرفية وبعض التفاصيل الأخرى، مما سنشير إليه فيما بعد، ويكفي للدلالة على ذلك أن نقوم بمراجعة واستقراء ما كتب عن المسجد النبوي الشريف قبل ابن عبد ربه سواء في المصادر التاريخية[٣٢] أو في كتب الرحالة المسلمين[٣٣] (وغالبيتها

---

(٣٠) عن هذه الرحلات انظر، على سبيل المثال، المنوني، محمد، "الجزيرة العربية في الجغرافيا والرحلات المغربية وما إليها"، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، جـ ٢، تحرير عبد الرحمن الأنصاري وآخرون، مطبعة جامعة الرياض، (١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م)، ص ص ٢٩٩ - ٣٢٦، يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية (١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م).

(٣١) ابن عبد ربه، العِقْدُ الفريد، جـ٧، تحقيق الترحيني، ص ص ٢٤٣، ٢٧٥.

(٣٢) حسبنا أن نشيرَ هنا (خشية الإطالة) إلى هذه المصادر إجمالا (وسوف نشير إلى بعضها تفصيلا فيما بعد) فمنها: كُتب السيره والطبقات مثل سيرة ابن هشام (ت ٢١٤هـ/ ٨٢٩م)، وطبقات ابن سعد (ت٢٣٠ هـ/ ٨٤٤م)، وكُتب السنن النبوية المطهرة مثل مسند ابن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، وصحيح مسلم (ت ٢٥١هـ/ ٨٦٥م)، وصحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، وسنن ابن ماجه (ت ٢٧٣هـ/=

منشورة ومتداولة ومعروفة لدى الجميع) ومقارنة ذلك بمشاهدات ووصف ابن عبد ربه.

والحق أن نتيجة هذه المقارنه كانت في صالح ابن عبد ربه، حيث لم يثبت لدينا وجود أي وصف يشبه وصفه في شموله ودقته وتفرده أيضاً في بعض التفاصيل، بل ولم نجد ما يدل على مجرد شبهة النقل فيما يخص وصف

=٨٨٦م)، وسنن أبو داود (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) وغير ذلك، ومنها كَتب تاريخ المدينة مثل كتاب كل من ابن زباله (ألفه عام ١٩٩هـ/ ٨١٤م)، والزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ/ ٨٦٩م)، والعبيدي (ت ٢٧٧ هـ/ ٨٩٠م) (وهذه الكُتب الثلاثه مفقودة حتى الآن إلا أن نصوصها ضمن كتاب السمهودي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) الشهير المسمى "وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى"، وكتاب تاريخ المدينة، لابن شبة (ت ٢٦٢ هـ/ ٨٧٥م)، وكتاب فضائل المدينة للجندي (ت ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م) وغير ذلك، ومنها كُتب التاريخ العام والفتوح والحوليات مثل المعارف لابن قتيبه (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) وكتاب المعرفة والتاريخ للفسوي (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، وفتوح البلدان للبلا ذري (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م) والأخبار الطوال للدينوري (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) وكتاب تاريخ اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢ هـ/ ٩٠٤م) وكتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) وغير ذلك. كذلك تجدر الإشارة إلى أن المصادر الأدبية التي اعتمد عليها كثيراً ابن عبد ربه ومن أهمها عيون الأخبار لابن قتيبه (ت ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩م)، الذي تأثر به ابن عبد ربه كثيراً سواء في الترتيب والتبويب، أو فيما جاء به من موضوعات (مثل كتاب السلطان، كتاب الحرب، كتاب السؤدد، كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة، كتاب العلم والبيان، كتاب الزهد، كتاب الاخوان، كتاب الحوائج، كتاب الطعام، كتاب النساء)، لم يرد فيه أي وصف للحرمين الشريفين. ابن قتيبه الدينوري، أبي محمد عبدالله بن مسلم، ت ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩م، عيون الأخبار، المجلد الأول، الجزءان ١ – ٢، تحقيق يوسف علي طويل، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٩٨٥م) المجلد الثاني، الجزءان ٣ – ٤، تحقيق مفيد محمد قميحه، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

(٣٣) ومنها كُتب المنازل والمناسك والجغرافيا والرحلات مثل كتاب المناسك للحربي (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، وكتاب البلدان لليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)، وكتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته (وصف المسجد النبوي الشريف عام ٢٩٠ هـ/ ٩٠٢م) وكتاب المسالك والممالك لابن خرداذ به (ت حوالي ٣٠٠ هـ/ ٩١٢م).

الحرمين الشريفين وبخاصة المسجد النبوي الشريف (موضوع بحثنا).

ولعل هذه النتيجة التي توصلنا إليها هي في حد ذاتها إجابة عن السؤال الثاني الذي سبق طرحة.

أما فيما يتعلق بإجابة السؤال الثالث والأخير، فيمكن القول بأنه إذا كان قد ثبت، بما لايدع مجالا للشك، أن كتاب العِقْدُ الفريد قد دس فيه بعد موت ابن عبد ربه[٣٤]، فإن ذلك ليس قرينة ولا ينهض دليلاً على أن وصف الحرمين الشريفين كان من بين ما دُسَّ في الكتاب، على اعتبار أنه لم تعرف لابن عبد ربه رحلة إلى المشرق في نظر هؤلاء العلماء كما سبق القول[٣٥].

والحق أن ما توصلنا إليه من نتائج في إجابة السؤالين السابقين، كان يكفي لدحض هذا الرأي ونفيه تماماً، ولكن أردنا ان نزيد هذه النتائج تأكيداً بما سنسوقه من أدلة واضحة مستمدة من خلال ما كتب عن المسجد النبوي الشريف بعد وفاة ابن عبد ربه ٣٢٨هـ / ٩٣٩م سواء في المصادر التاريخية[٣٦] أو في كتب الرحالة المسلمين مشارقة[٣٧] كانوا أم مغاربة[٣٨]. وأول هذه الأدلة

(٣٤) ابن عبد ربه، العِقْدُ الفريد، جـ١، تحقيق العريان، مقدمة التحقيق، ص (ل)، جبور، ابن عبد ربه وعقده، ص ص١٣٢ – ١٤٧.

(٣٥) انظر ص ص١٠-١٢ من هذا البحث

(٣٦) حسبنا أن نشير هنا (خشية الاطالة) إلى هذه المصادر إجمالا (وسوف نشير إلى بعضها تفصيلا فيما بعد) ومنها الكُتب المتعلقة بتاريخ المدينة والمسجد النبوي الشريف مثل الدرة الثمنية لابن النجار (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، والتعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة للمطري (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، وتحقيق النصره للمراغي (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م)، والمغانم المطابه للفيروز أبادي (ت ٨٢٣ هـ/ ١٤٢٠م)، والتحفه اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، ووفاء الوفا وخلاصة الوفا للسمهودي (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م) وعمدة الأخبار للعباسي (ألف عام ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م أو ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م) وغير ذلك.

(٣٧) ومن هذه الكّتب مروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٥ هـ/ ٩٥٦م)، ومختصر كتاب=

أنه لم يرد أي وصف يشبه وصف ابن عبد ربه في هذه المصادر وتلك الكتب مما يوحي بالدس أما ثاني هذه الأدلة وأهمها فيكمن فيما طرأ على عمارة المسجد النبوي الشريف وتخطيط مُقَدَّمه من تغيير بعد وفاه ابن عبد ربه عام ٣٢٨هـ / ٩٣٩م وهو الأمر الذي ينفي الدس من أساسه كما سنشير فيما بعد.

وبعد فإنه يتضح من خلال ما تقدم عرضه أن ابن عبد ربه قد اعتمد في وصفه على الرؤية والمشاهدة أثناء تأديته فريضة الحج وزيارة المسجد النبوي الشريف قبل عام ٣١٧هـ/٩٢٩م كما رجّحنا (٣٩)، وما دام الأمر كذلك، فانه لاصحة مطلقا لما ردده البعض من أن هذا الوصف، كان إما مجرد نقل عن المصادر السابقة عليه، وإما أنه كان من بين مادس في الكتاب بعد وفاته عام ٣٢٨هـ/٩٣٩م، وهو الأمر الذي نفته النتائج التي توصلنا إليها كما سبق القول(٤٠).

=البلدان لابن الفقيه (ت ٣٤٠ هـ/ ٩٥١م أو ٣٦٥ هـ/ ٩٧٥م)، وأحسن التقاسيم للمقدسي (كتبه عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)، وسفر نامه لناصري خسرو (ت ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م) والإشارات إلى معرفة الزيارات للهروي (ت٦١١ هـ/ ١٢١٤م) ومعجم البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م) وغير ذلك.

(٣٨) ومن هذه الكّتب المسالك والممالك لابي عبيد الله البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) وكتاب الاستبصار لمجهول (أواخر ق٦ هـ/ ١٢م)، ورحلة ابن جبير (زار المسجد النبوي الشريف عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، ورحلة ابن بطوطه (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) وغير ذلك من الرحلات المغربية لكل من العبدري، والبلوي، والتجيبي، وابن رشيد الفهري، والعذري، والعباسي، وابن عبد السلام الدرعي، وأبوالقاسم الزياني وغيرهم.

(٣٩) انظر ص ١٤ من هذا البحث.

(٤٠) انظر ص ص١٦-١٨ من هذا البحث.

ثانياً : عمارة المسجد النبوي الشريف وتخطيطه في ضوء وصف ابن عبد ربه ،ومقارنة ذلك بما انتهت إليه الدراسات الآثارية السابقة :-

قبل أن نتتبع وصف ابن عبد ربه ونبرز أهميته في دراسة عمارة المسجد النبوي الشريف وتخطيطه قبل عام ٣١٧هـ / ٩٢٩م يحسن بنا، بادئ ذي بدء، أن نشير إلى حقيقة مهمة فحواها أن هذا الوصف يعد أشمل وأدق وصف معروف لدينا، حتى الآن، .حيث أن صاحبه قد ركز على ماشاهده ورأه بعيني رأسه فحسب دون الدخول في متاهات الروايات التاريخية المتباينة وما ينتج عنها، بطبيعه الحال، من تضارب الآراء ومحاولة ترجيح كفة إحداها على الأخرى، بل إنه في بعض الأحيان يصعب تفسير بعض هذه الروايات ومن ثم تظل قابعة في ثنايا المصادر المختلفة حتى يتم العثور على نص جديد يزيل صعوبتها ويكشف فحواها بدقة وهو ما سوف نشير إليه فيما بعد.

وعلى ضوء ذلك، يحق لنا أن نعتبر مشاهدات ابن عبد ربه بمثابة وصف فني شامل ومُركز حوى بين دفتيه العديد من الحقائق والتفاصيل الدقيقة للمسجد النبوي الشريف، وهو الامر الذي لانجده بهذا الشكل المفصل والواضح فيما كتب عن المسجد في المصادر المختلفة قبل ابن عبد ربه[٤١]. كذلك تجدر الإشارة إلى حقيقة أخرى فحواها أن ابن عبد ربه قد عبر عن مشاهداته بالمصطلحات الفنية الشائعة والمتداولة في أقطار الغرب الإسلامي -المغرب والاندلس- وهو أمر له دلالته لمن يتصدى لدراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية عامة وفي المغرب والاندلس خاصة خلال تلك الفترة المبكرة[٤٢] -أي

(٤١) عن هذه المصادر: انظر حاشية (٣٢) من هذا البحث

(٤٢) تناولتُ دراسة بعض هذه المصطلحات في كتابي الموسوم بـ «المدخل إلى دراسة=

القرون الأربعة

الأولى من الهجرة النبوية الشريفة-، ومع ذلك فإنه يؤخذ عليه أنه اكتفى بهذه المصطلحات، ولم يشر إلى ما يقابلها من مصطلحات في الحجاز، وبخاصه مكة المكرمة والمدينة المنورة، على غرار ما كان يحرص عليه غالبية الرحالة المتأخرين من المغاربة والأندلسيين، مما كان يسهل كثيراً دراسة وتوحيد هذه المصطلحات بين الأقطار العربية والإسلامية المختلفة[٤٣].

والحق أن ما ذكرناه هنا ينهض هو الأخر دليلا على أن ابن عبد ربه لم ينقل وصفه عن غيره ممن سبقه، لأنه لوكان كذلك لاستخدم المصطلحات المشرقية التي كانت شائعة ومتداولة حينئذ، لاسيما ونحن نعرف أنه اعتمد كثيراً على علماء المشرق[٤٤] ، حتى قيل أنه قد قصر كتابه على أخبار المشارقة أو أن المشرق قد رحل إلى الاندلس في كتاب ابن عبد ربه[٤٥].

ونستطيع أن نحصر أهمية وصف ابن عبد ربه في نقطتين رئيستين وهما:-

=المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية» في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنصوص الآثارية والوثائقية والتاريخية، القاهرة، دار نهضة الشرق، (١٩٩٦م)، وسوف تنشر بمشيئة الله تعالى وبتوفيقه بقية هذه المصطلحات في كتابي الموسوم بـ «المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية» ثلاثة أجزاء، وهو ما يزال قيد النشر.

(٤٣) الحداد، المدخل إلى دراسة المصطلحات، ص ص ٢٢ - ٢٧.

(٤٤) ومن بين هؤلاء: المبّرد والأصمعي والشيباني وسيبويه والمدائني والعتبي وأبي عبيده وابن المقفع وابن سلام الجمحي وابن الكلبي والجاحظ وابن قتيبه (عيون الأخبار). جبور، ابن عبد ربه، ص ٤٤. هذا وتجدر الإشارة إلى أن جميع كتب هؤلاء العلماء لم يرد فيها أي وصف يخص عمارة الحرمين الشريفين عامة والمسجد النبوي الشريف خاصة، ولذلك فهي تخلو من المصطلحات الفنية المشرقية الشائعة والمتداولة حينئذ.

(٤٥) ابن عبد ربه، العِقْدُ الفريد، جـ١، تحقيق العريان، مقدمة التحقيق ص ص (ط- ي)

١- التخطيط المعماري للمسجد ومفرداته المختلفة.

٢- الكسوات الزخرفية.

وفيما يلي نتتبع كل منهما بالتفصيل مع مقارنه ذلك بما انتهت إليه الدراسات الآثارية السابقة.

١- التخطيط المعماري للمسجد ومفرداته المختلفة:

تتجلى أهمية مشاهدات ابن عبد ربه ووصفه لعمارة المسجد النبوي الشريف[٤٦]، فيما ذكره عن تخطيط المسجد عامة وتخطيط مُقَدَّمه وما يشتمل عليه من عناصر ومفردات خاصة وهو ما سنوضحه فيما يلي:-

ويمكن القول، بادئ ذي بدء، أن التخطيط العام للمسجد النبوي الشريف قد احتفظ وقت زيارة ابن عبد ربه له، أي قبل عام ٣١٧هـ / ٩٢٩م، بصورته

(٤٦) تجدر الإشارة إلى أنني إعتمدت في هذه الدراسة بصفة رئيسة على النسخة المحققة من قبل أحمد أمين وآخرين والمنشورة من قبل لجنة التأليف والترجمة والنشر منذ عام ١٩٤٠م، وطبعت أكثر من مرة، وهي الطبعة التي تعتبر أفضل طبعة مصححة صدرت لهذا الكتاب، ورغم ذلك، فإنه رغبة منا في خروج هذه الدراسة على النحو الأكمل قمنا بمقابلة ما ورد في هذه الطبعة مع ماورد في النسخ الأخرى المنشورة والمحققة من الكتاب، وقمنا بوضع ما وجدناه من إختلاف بين قوسين، ورغم ذلك فإننا نستطيع أن نؤكد لاسيما فيما يخص مشاهدات ابن عبد ربه عن الحرمين الشريفين عامة والمسجد النبوي الشريف خاصة أنه يوجد خلل أحيانا نتيجة لحدوث سقط لبعض العبارات والكلمات في الأصل الذي اعتمد عليه في نشرو تحقيق الكتاب أكثر من مرة، ولذلك سوف نضيف هذه العبارات وتلك الكلمات إلى النص المنشور بين قوسين حتى يستقيم المعنى الذي أراد أن يعبر عنه ابن عبد ربه من جهة، والذي يتفق مع ما ورد في المصادر التاريخية السابقة له من جهة ثانية، ومما يزكي ذلك أن النص المنشور قد حفل بالإشارات الدالة على وجود هذا السقط، ولذلك نوصي بإعادة تحقيق هذا الكتاب من قبل فريق عمل من المتخصصين في المجالات المختلفة التي تعرض لها الكتاب.

النهائية التي كان عليها عقب عمارة الخليفة المهدي العباسي فيما بين عامي ١٦٢ - ١٦٥هـ / ٧٧٨ - ٧٨١م.

وهذا التخطيط كان عبارة عن صحن أوسط مكشوف ومُقَدَّم ومُؤَخّر ومُجنبتان.

وفيما يلي نتتبع مشاهدات ابن عبد ربه ووصفه لكل عنصر من هذه العناصر، وما كان يحويه من مفردات وتفاصيل، مع مقارنة ذلك بما ورد في المصادر المختلفة من جهة، والدراسات السابقة من جهه أخرى.

أ- **الصحن**:

لم يرد -في النسخ المنشورة والمحققة التي اعتمدنا عليها- وصفًا للصحن وما كان يشتمل عليه، ويستثنى من ذلك الوصف المتعلق بعقود البائكات الأربع المطلة على ذلك الصحن، وقد وصفها ابن عبد ربه بقوله " وحنايا -أي العقود أو الاقواس- المسجد كلها مما يلي الصحن -أي المطلة على الصحن- مشدودة من جهاتها الأربع إلى مناكب العمد -أي حتى بداية العقود أو أرجلها- من داخله مزخرفة بخشب منقش"[٤٧].

ويستدل من هذا النص على أنه كان يغشى داخل هذه العقود أحجبة خشبية ذات زخارف محفورة، وقد كانت هذه الأحجبة من خشب الساج كما ورد في المصادر سواء قبل ابن عبد ربه أو بعده.

ولعل ماورد هنا ينفي ما أشار إليه ابن رسته من أن عقود بائكة مُقَدَّم

(٤٧) ابن عبد ربه، العِقْدُ الفريد، جـ ٦، ص ٢٦٢ . هذا ولم ترد عبارة (من داخله مزخرفة) في النسَخ الأخرى المحققة، حيث ورد بها النص على النحو التالي " وحنايا المسجد كلها مما يلي الصحن مشدودة من جهاتها الأربع إلى مناكب العمد بخشب منقش" ، جـ٧ تحقيق العريان، ص ٢٥٤، جـ ٧، تحقيق الترحيني، ص ٢٩٠.

المسجد هي التي كانت مشدودة بالساج فحسب[٤٨]. ويؤكد ذلك ايضاً أن المصادر المتأخره قد أيدت ما ذكره ابن عبد ربه، وحسبنا أن نشير إلى ما ذكره ابن النجار بقوله "ورؤوس الطاقات -أي العقود او الاقواس- مسدودة بشبابيك من خشب"[٤٩].

وكذلك ما أورده صاحب كتاب الإستبصار " وتلك الأقواس التي إلى صحن المسجد مغلقة بشراجيب -أحجبة مركبة من قطع أو أعواد صغيرة متداخلة- الساج "[٥٠].

ب- المُقَدَّم:

يشغل الضلع الجنوبي للصحن، وقد عبر عنه ابن عبد ربه بمصطلح "البلاطات القبلية"[٥١]، ولم يرد في النسخ المنشورة والمحققة التي اعتمدنا عليها

---

(٤٨) ابن رسته، أبي علي أحمد بن عمر، ت بعد ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م، الأعلاق النفيسة، المجلد ٧، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص ٧٦.

(٤٩) ابن النجار، الحافظ محمد بن محمود، ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، أخبار مدينة الرسول المعروف بالدرة الثمينة، تحقيق صالح محمد جمال، مكة المكرمة، مطبعة الرسالة، (١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م)، ص ٨٩.

(٥٠) كاتب مراكشي، القرن ٦هـ/ ١٢م، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية،، د.ت، ص٣٧، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أنه قد ثبت أن هذا الكتاب، قد اشترك فيه مؤلفان مجهولان يعتبر أولهما الواضع الأول للكتاب ثم قام بإخراجه – مع إضافات جديدة – مؤلف ثان يعنون زيادته بإسم الناظر، وكان يعيش عام ٥٨٨ هـ/ ١١٩٢م. انظر: المنوني، الجزيرة العربية في الجغرافيا والرحلات المغربية، ص٣٠٨.

(٥١) شاع هذا المصطلح في الغرب الإسلامي -بلاد المغرب والاندلس- كمرادف لمصطلح الأروقة الذي كان شائعا في مصر والمشرق الإسلامي، وقد سبق أن قمت بعمل دراسة مطولة حول هذا الموضوع. انظر، الحداد، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية، ص ص ٤٠ – ٦٩.

أي ذكر لعدد هذه البلاطات -الأروقة- ومن المرجّح أن ذلك يرجع إلى أنه قد حدث سقط في الأصلِ الذي اعتمد عليه في نشر وتحقيق الكتاب للكلمة الدالة على العدد وهي خمسة، ولذلك سوف نضيف هذه الكلمة بين قوسين حتى يستقيم المعنى الذي أراد أن يعبر عنه ابن عبد ربه من جهه، والذي يتفق مع ماورد في المصادر السابقة من جهه ثانية.

ومما يدل على ما ذكرناه بل ويؤكده ما أورده ابن عبد ربه في وصفه نفسه من اشارات يستدل منها على أنه كان قد ذكر فعلاً عدد هذه الاروقة وسوف نشير إليها فيما بعد.

وفيما يلي نذكر وصف ابن عبد ربه مضافا إليه الكلمة التي رجّحنا سقوطها من الاصل بين قوسين حيث قال "بلاطاته في قبلته (خمس) معترضه من المشرق إلى المغرب في كل صف من صفوف عمدها سبعة عشر عموداً، ما بين كل عمودين منها فجوة كبيرة واسعة."[٥٢].

ويتفق هذا الوصف مع ما أوردته المصادر التاريخية من جهة، وأيدته الدراسات الآثارية الحديثة (أشكال١، ٤-١٤) من جهة ثانية، فقد كان كل رواق من أروقة المُقَدَّم الخمسة يحتوي على هذا العدد من الأعمدة -الأساطين في غالبية المصادر- عقب عمارة الخليفة الوليد بن عبد الملك فيما بين عامي ٨٨ - ٩١هـ/ ٧٠٦ - ٧٠٩م، وظلت على هذا النحو حتى بعد عمارة المهدي العباسي الذي لم يزد في جهه القبلة شيئًا[٥٣] وهو ما أيده وصف ابن عبد ربه.

(٥٢) ابن عبد ربه، العقْدَ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٠، جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٢، جـ ٧، تحقيق الترحيني ص ٢٨٨.

(٥٣) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ٧٤، الحربي، الإمام أبواسحاق، ت ٢٨٥ هـ/ ٨٩٨م، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، ط ٢، (١٤٠١ هـ/ ١٩٨١)، ص ٣٧٠، السمهودي، نور=

وكانت المسافة بين كل عمودين كبيرة إذ تتراوح ما بين تسعة وعشرة أذرع(٥٤) -أي ما بين ٤,٥٠ و ٥م- وهذا هو ما أثار انتباه ابن عبد ربه ودفعه إلى القول بأن ما بين كل عمودين فجوة كبيرة واسعة كما سبق القول.

أما عن الاشارات التي يستدل منها أن ابن عبد ربه كان قد ذكر فعلا عدد أروقة المُقَدَّم في صدر وصفه، كما سبق القول، ما ذكره عند حديثه عن موضع المنبر بقوله "والمنبر عن يمين المحراب -أي على يمين الواقف تجاه المحراب- في أول البلاط الثالث من المحراب -أي من جدار القبله-....."(٥٥). ويدل هذا النص على أنه توجد ثلاث بلاطات -أروقه- في المسافة الممتده من جدار القبله حيث يوجد المحراب إلى البلاط -الرواق- الثالث حيث يوجد المنبر.

ومنها ما ذكره عند حديثه عن موضع القبر الشريف بقوله " وقبره صلوات الله عليه وسلامه بشرقي المسجد في أخر مسقفه القبلي مما يلي

=الدين علي بن أحمد، ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، جـ ٢، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٤، (١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م) ص ٥٣٦.

(٥٤) السمهودي، وفاء الوفا، جـ١، ص ٣٥٥، جـ ٢، ص ص ٤٤٦، ٤٩٣، ٥٠٥، ٥٠٨، كاتب مراكشي، الاستبصار، ص ٩، البرزنجي، نزهة الناظرين، ص ص ٤١ – ٤٢، الشنقيطي، الدر الثمين، ص ٩١، النهروالي، قطب الدين محمد، ت ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م تاريخ المدينة، تحقيق أبي عبد الله محمد حسن، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ص ١١١، فكري، المدخل، ص ١٧١، الشهري، محمد هزاع، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، غير منشورة، مكة المكرمة، قسم الحضارة والنظم الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص ص٤٥، ١٤٩.

(٥٥) ابن عبد ربه، العقد،جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٢، جـ ٧ تحقيق العريان، ص ٢٥٣، جـ ٧، تحقيق الترحيني، ص ٢٨٩.

الصحن "[٥٦].

وتتفق هذه الإشارة المهمة مع ماورد في المصادر التاريخية بشأن موضع القبر الذي كان يقع على يسار الرواقين -البلاطتين- الأولين مما يلي الصحن من جهة المشرق، وكانت مربعة القبر هي نفسها الاسطون -أو العمود- الذي يشغل ركن الصحن من هذه الجهة[٥٧] -أي المشرق-، ولعل ما أثبتناه هنا حول موضع القبر الشريف ينفي ماورد في بعض المشروعات الهندسية بشأن ذلك الموضع وهو ما سنشير إليه فيما بعد[٥٨]. ويعد ذلك وصف ابن عبد ربه هذه الأعمدة بقوله " والعمد التي في البلاطات القبلية -أي بمُقَدَّم المسجد- بيض مجصَّصة شاطة جداً -أي عالية مرتفعة- وسائر عمد المسجد رخام -أي في كل من المجنبتين والمؤخَّر- والعمد المجصَّصة على قواعد عظيمة مربعة ورؤوسها -أي تيجانها- مذهبة عليها نجف -أي عوارض أو جسور خشبية- منقشة مذهبة ثم السموات -أي السقف- على النجف وهي أيضاً منقشة مذهبة"[٥٩].

ويستدل من هذا الوصف على أن أعمدة مُقَدَّم المسجد كانت عالية مرتفعة، وأنها ترتكز على قواعد عظيمة مربعة وتعلوها تيجان مذهبة، وكانت ترتفع فوق هذه التيجان عوارض أو جسور خشبية -حلت محل العقود- تحمل السقف، وقد ورد في المصادر التاريخية ما يؤيد ما ذكره ابن عبد ربه عن هذه

---

(٥٦) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٢، جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٣، جـ ٧، تحقيق الترحيني، ص ٢٨٩

(٥٧) السمهودي، وفاء الوفا، جـ ١، ص ٣٥٠.

(٥٨) انظر ص ص ٤٦-٤٧ من هذا البحث.

(٥٩) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٠، جـ ٧، تحقيق العريان ص ٢٥٢، جـ ٧، تحقيق الترحيني، ص ٢٨٨

الأعمدة، ومن ذلك ما ذكر من أن عمر بن عبد العزيز "جعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص"[٦٠].

ويلقي ابن جبير مزيداً من الضوء على هذه الأعمدة فيذكر أنها "أعمدة متصلة بالسّمْك -أي بالسقف- دون قسى -أي عقود- تنعطف عليها، فكأنها دعائم قوائم، وهي من حجر منحوت قطعا قطعا ململمة مثقبة توضع أنثى في ذكر ويفرغ بينهما الرصاص المذاب إلى أن تتصل عموداً قائماً، وتكسى بغلالة جيار -الجص أو الكلس- ويبالغ في صقلها ودلكها فتظهر كأنها رخام أبيض"[٦١].

وأما ما ذكره ابن عبد ربه من أن الأعمدة القبلية بيض مجصّصة، فذلك راجع إلى كونها كانت مكسية بالقَصَّه أي الجص -أو غلالة جيار كما ذكر ابن جبير في النص السابق- التي حملت إلى المسجد من بطن نخل[٦٢]، وكسيت به، علاوة على الأعمدة، الجدران كذلك[٦٣].

كذلك ورد في المصادر التاريخية ما يؤيد وصف ابن عبد ربه من أن

(٦٠) السمهودي، وفاء الوفاء، جـ ٢، ص ٥١٩.

(٦١) ابن جبير، أبي الحسن محمد بن أحمد، ت ٦١٤ هـ/ ١٢١٧م، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة بـ " رحلة ابن جبير " بيروت، طبعة جديدة منقحة باشراف لجنة تحقيق التراث، منشورات دار ومكتبة الهلال، ط٢، (١٩٨٦م)، ص ١٥٢، الانصاري، عبد القدوس، مع ابن جبير في رحلته، القاهرة، المطبعة العربية الحديثة، (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ص ٢١٠.

(٦٢) يذكر العلامّة حمد الجاسر ضمن تعليقاته في كتاب المناسك للحربي (ص ٣٦٥، حاشية١) أن بطن نخل، هو على أرجح الأقوال ما يسمى الأن الحناكية، وهو واد عظيم يكثر فيه شجر الدوم، وفيه قرى متفرقة، ومن دونه للمتجه إلى المدينة المنورة ببضعه أكيال وادي النخيل.

(٦٣) الحربي، المناسك، ص ٣٦٥، السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ٥١٩.

الأعمدة القبلية كانت عالية مرتفعة عن غيرها من أعمدة المسجد، فقد كان ذلك راجعا إلى أنه لما أدخل عمر بن عبد العزيز بعض الدور عندما زاد في المسجد من غربية قد " أعلم -وفي رواية أخرى أعلى- مادخل منها في المسجد فجعل منابر سواريها التي تلي السقف أعظم من غيرها من سواري المسجد "[٦٤] .

الرواق العمودي:

إذا كان ما أورده ابن عبد ربه يتفق مع ما أوردته المصادر التاريخية السابقة عليه، وأيدته الدراسات الآثارية بشأن عدد أروقة -بلاطات- المُقَدَّم وعدد الأعمدة بكل رواق -بلاط - منها كما سبق أن بيّنا، إلا أنه -أي ابن عبد ربه- قد انفرد بإشارة مهمة لم يشر إليها أحد سواء قبله أو بعده حيث يقول " وقبالة المحراب مُوسَطَة البلاطات -الأروقة- بلاط -رواق- مذهب كله شقت به البلاطات من الصحن إلى أن ينتهي إلى البلاط الذي بالمحراب -أي الرواق الأول مما يلي جدار القبلة- ولا يشقة -أي لا يخترقه-...."[٦٥].

ويدل هذا النص المهم على أنه كان يوجد بمُقَدَّم المسجد النبوي الشريف رواق -بلاط- عمودي على جدار القبلة، وكان هذا الرواق يمتد من الصحن إلى أن ينتهي عند حافة الرواق الأول مما يلي جدار القبلة أمام المحراب -حيث يوجد العمودان السادس والسابع مما يلي الشرق أوالحادي عشر والثاني عشر مما يلي الغرب- حيث أنه كان لا يشقه أي لايخترقه كما سبق القول.

وبما أن ابن عبد ربه قد انفرد وحده بهذه الاشارة المهمة، فإنه يصبح

(٦٤) ابن النجار، أخبار مدينة الرسول المعروف بالدرة الثمينة، ص ٨١، السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ٥١٧.

(٦٥) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٠، جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٢، جـ ٧، تَحقيق الترحيني، ص ٢٨٨.

من الضروري أن نتساءل عن مدى مصداقيتها، وفيما إذا كان قدورد في المصادر التاريخية السابقة عليه ما يؤيدها ويعززها أم لا؟

والحق أنه قد وردت في المصادر التاريخية التي تحدثت عن عمارة المسجد النبوي الشريف قبل ابن عبد ربه بعض الروايات التي تؤيد وتعزز ما أشار إليه، ومنها ما ذكر عقب الانتهاء من عمارة الخليفة الوليد بن عبد الملك للمسجد عام ٩١هـ / ٧٠٩م، من أنه في هذا العام قدم الوليد إلى المدينة وأخذ يطوف في المسجد، وينظر إلى بنيانه ثم قال لعمر بن عبد العزيز حين رأى سقف المقصوره (وسنشير إليها فيما بعد) " ألا عملت السقف كله مثل هذا، قال إذًا يا أمير المؤمنين تعظم النفقة جداً، قال: وإن، قال: أتدري كم أنفقت على عمل جدار القبلة وما بين السقفين ؟ قال: كم، قال: خمسة وأربعون ألف دينار، وقال بعضهم: أربعون ألف دينار، قال: والله لكأنك أنفقتها من مالك، وقيل: كانت النفقة في ذلك أربعين ألف مثقال "[(٦٦)] .

ويستدل من هذا النص المهم على أن المقصود بعبارة " ما بين السقفين " هو الإشارة إلى سقف المقصورة وسقف الرواق العمودي، وتأتي الرواية الثانية لتزيد هذا الأمر وضوحًا وتوكيدًا ، وفيها يذكر الطبري في حوادث عام ٩١هـ / ٧٠٩م " قال محمد بن عمر: وحدثني إسحاق بن يحيى قال: رأيت الوليد يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة عام حَجَّ -أي عام ٩١هـ / ٧٠٩م- قد صف له جنده صفين من المنبر إلى جدار مؤخر المسجد..... "[(٦٧)].

---

(٦٦) الحربي، المناسك، ص ٣٦٩، ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص ٧٣، ابن النجار، أخبار مدينة الرسول، ص ٨٤، السمهودي، وفاء الوفا، جـ٢، ص ص ٥٢٣ - ٥٢٤.

(٦٧) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢م، تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، جـ ٦، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ص ٤٦٦.

ومن الطبيعي والمنطقي في الوقت ذاته أن يكون اصطفاف الجند في صفين على جانبي هذا الرواق العمودي -أو المُوسَطَة على حدقول ابن عبد ربه- وذلك في المسافة الممتده من الرواق -البلاط- الثالث حيث يوجد المنبر وحتى بداية الصحن أي مسافة ثلاثة أروقة -بلاطات- وهو ما نرجّحه، لأنه من غير المعقول أن يكون خليفة المسلمين وإمامهم سببا في قطع صفوف المصلين بهؤلاء الجند، إذا ما اصطفوا خارج هذا الرواق، وأما ما ذكر عن اصطفاف الجند حتى جدار مُؤَّخر المسجد -الجدار الشمالي- فغير معقول، إذ يغلب عليه طابع المبالغة الذي تتسم به العديد من الروايات التاريخية في كثير من الأحيان.

وبعد أن تبين لنا بهذه الأدلة التاريخية، مدى صدق ما أشار إليه ابن عبد ربه تبرز أمامنا تساؤلات مهمة عن الكيفية التي كان عليها هذا الرواق العمودي ؟ ولماذا لم يكن أعرض من بقية الأروقة الأخرى بمُقَدَّم المسجد ؟

وللإجابة على السؤال الأول يمكن القول بأنه لما كان المسجد النبوي عامة ومُقَدَّمه خاصة يخلو من وجود العقود، إلا في الواجهات المطلة على الصحن فحسب، ومن ثم حلت العوارض أو الجسور الخشبية التي تعلو تيجان الأعمدة محل العقود في حمل السقف كما سبق القول[٦٨] .

وبناءً على ذلك، فإنه من المرجّح أن هذه العوارض قد وضعت أعلى التيجان بطريقتين مختلفتين:الأولى وهى الأغلب، تتمثل في أن هذه العوارض قد وضعت بشكل عرضي، أي موازٍ لجدار القبلة، وهذا هو ما تحقق في جميع أروقة المُقَدَّم الممتدة من الغرب إلى الشرق، وقد عبر ابن عبد ربه عن هذا الوضع بقولة إن البلاطات -الأروقة- معترضة من المشرق إلى المغرب كما سبق

(٦٨) انظر ص٢٦ من هذا البحث.

القول[٦٩]. وقد أكد ذلك أيضاً بعد ابن عبد ربه العديد من المؤرخين والرحالة ومن بينهم ابن جبير بقوله " فالجهة القبلية -أي مُقَدَّم المسجد- منها لها خمس بلاطات -أروقة- مستطيلة من غرب إلى شرق -أي موازية لجدار القبلة....."[٧٠].

والسمهودي بقوله إن سقف مُقَدَّم المسجد قائم على "عبارات (جسور أو عوارض) من خشب موضوعة فوق رؤوس السواري -الأعمدة- بعرض تلك السواري -أي موازية لجدار القبلة-......"[٧١].

كذلك نُفذت هذه الطريقة -أي الاتجاه الموازي لجدار القبلة- في البائكة الأولى للمُقَدَّم المطلة على الصحن، ولكن باستخدام العقود حيث كانت تعلو تيجان أعمدة هذه البائكة عقود موازية لجدار القبلة تبلغ أحد عشر عقداً ترتكز على اثني عشر عموداً -إسطونا- (أشكال ١، ٤-١٤) أما الطريقة الثانية: فتتمثل في أن هذه العوارض قد وضعت بشكل طولي، أي عمودي على جدار القبلة، وهذا لم يتحقق سوى في الرواق الواقع تجاه المحراب والممتد من الصحن -أي من الشمال إلى الجنوب-، وهذا هو ما دفع ابن عبد ربه إلى القول بأن هذا البلاط -الرواق- شقت به البلاطات -الأروقة- من الصحن إلى أن ينتهي إلى البلاط الذي بالمحراب -أي الرواق الأول- ولا يشقه أي لايخترقه كما سبق القول[٧٢] .

(٦٩) انظر ص٢٤ من هذا البحث.

(٧٠) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١٥٠، الأنصاري، مع ابن جبير في رحلته، ص٢٠٩، كذلك ورد في كتاب الاستبصار أيضاً نفس المعنى حيث قال " مُقَدَّم المسجد خمس بلاطات معترضة -أي موازيه لجدار القبلة-..... " - كاتب مراكشي، الاستبصار، ص ٣٧.

(٧١) السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ٦٠٦.

(٧٢) انظر ص ٢٨ من هذا البحث.

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن هذا الاتجاه العمودي على جدار القبلة لم يقتصر على هذا الرواق -البلاطه- فحسب، وإنما تحقق أيضاً ونفذ بنفس الطريقة في كل من المجنبتين الشرقية والغربية، وبخاصة في البائكات الداخلية بكل مجنبة، أما كل من البائكتين المطلتين على الصحن فكانت تعلو تيجان أعمدتهما عقود عمودية على جدار القبلة أيضاً يبلغ عددها -عقب عمارة المهدي العباسي- تسعة عشر عقداً ترتكز على عشرين عموداً بكل بائكة (أشكال ٦، ٨، ١٠ ، ١٤) ويؤيدنا فيما ذهبنا إليه ما ذكره ابن عبد ربه عند حديثه عن أروقة -بلاطات- كل من المجنبتين الغربية والشرقية بقوله " منتظم بعضها ببعض في طولها مع وجه الصحن من القبلة إلى الجوف -أي أنها عمودية على جدار القبلة وتمتد من الجنوب إلى الشمال-......"[(٧٣)].

ومما يعزز ذلك أيضاً ما أورده السمهودي نقلا عن أحد الرحالة بقوله "والجهة الشرقية ثلاثة أروقة -بلاطات- أخذة من القبلة إلى الشام -الشمال- والجهة الغربية أربعة كذلك -أي على نفس الصفه المذكورة-....."[(٧٤)].

---

(٧٣) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٢، جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٤، جـ ٧ ـ تحقيق الترحيني، ص ٢٩٠.

(٧٤) السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ٦٧٢.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الرحالة الذي نقل عنه السمهودي هو ابن جبير، الا أنه قد ثبت لنا بمراجعة النسخ المنشورة من رحلة ابن جبير، أنها تخلو من العبارة التي أوردها السمهودي نقلا عن ابن جبير، وهي العبارة المتعلقة بتحديد اتجاه أروقة -بلاطات- كل من المجنبتين ونصها "آخذة من القبلة إلى الشام " مما يدل على أنه قد حدث سقط لبعض العبارات والكلمات في الأصل الذي اعتمد عليه في نشر الرحلة وتحقيقها. انظر في ذلك " رحلة ابن جبير (اشراف لجنة تحقيق التراث المشار إليها سابقا)، ص ١٥٠، رحلة ابن جبير، بيروت، دار صادر، د.ت، ص ١٦٨.، رحلة ابن جبير المسماه " تذكرة بالاخبار عن إتفاقات الأسفار، تحقيق حسين نصار، القاهرة، مكتبة مصر بالفجالة، (١٩٥٥م) ص١٧٥. ولعل ما ذكرناه=

كذلك نفذت الطريقة الأولى -أي الاتجاه الموازي لجدار القبلة- في مُؤَخَّر المسجد وبخاصة في البائكات الأربع الداخلية التي كانت تخلو من العقود أيضاً، أما البائكة الأولى المطلة على الصحن فكانت تعلو تيجان أعمدتها عقود موازية لجدار القبلة تبلغ أحد عشر عقداً ترتكز على إثني عشر عموداً - إسطونا- مثل عقود البائكة الأولى المقابلة لها في مُقَدَّم المسجد (أشكال ١، ٤ - ١٤).

أما بالنسبة لإجابة السؤال الثاني، فيمكن القول بأن السبب في عدم اتساع الرواق العمودي وزيادة عرضه عن بقية الأروقة الأخرى بمُقَدَّم المسجد، يكمن في الحرص على التقيد بموضع الأساطين -الأعمدة- التي كانت على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالتالي المسافات المحصورة بينها، والتي كانت تتراوح ما بين تسعة أو عشرة أذرع -أي ٤,٥٠ و٥م- كما سبق القول[٧٥]، وهذه السنة الحميدة درج عليها جميع من قاموا بعمارة المسجد النبوي الشريف وتوسعته والزيادة فيه منذ عهد الخلفاء الراشدين وحتى الآن، حيث ماتزال هذه الاسطوانات في مواضعها وتعرف بأسمائها التي كانت معروفة بها منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم[٧٦]. كذلك نستطيع أن نرجع السبب في عدم توسط هذا الرواق العمودي لأروقة المُقَدَّم كما هو المتبع في غالبية المساجد التالية للمسجد النبوي الشريف إلى التقيد بموضع المحراب

=هنا يعزز ما أشرنا إليه من قبل (الحاشية رقم ٤٦ من هذا البحث) من حدوث نفس الشئ في كتاب ابن عبد ربه.

(٧٥) انظر ص٢٥ من هذا البحث.

(٧٦) فكري، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، المدخل القاهرة، دار المعارف، (١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)، ص ١٧٤، الباشا، حسن، مدخل إلى الآثار الإسلامية، القاهرة، دار النهضة العربية، (١٩٧٩م)، ص ص ١٢١، ١٢٣ - ١٢٤، الشهري، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي، ص ١١٨.

الذي لم يكن هو الآخر يتوسط جدار القبلة، وإنما كان أقرب إلى الشرق منه إلى الغرب (أشكال ١، ٤ - ١٤).

وفي ضوء ما تقدم يتضح أن المسجد النبوي الشريف، كان يشتمل، عقب عمارة الوليد بن عبد الملك له على يد عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز فيما بين عامي ٨٨ - ٩١هـ/٧٠٦ - ٧٠٩م، على رواق عمودي على جدار القبلة كان يقطع صفوف بائكات الأروقة -البلاطات- الموازية لذلك الجدار، وهو ما يعرف خطأ في المراجع الآثارية بالمجاز القاطع (TRANSEPT) ، وعلى ذلك نستطيع القول، بأن هذا الرواق، كان يمثل الانموذج الأول في عمارة المساجد الإسلامية، وهو إن نفذ في المسجد النبوي الشريف بطريقة بسيطة للغاية كما سبق القول، إلا أنه سرعان ما نفذ بطريقة أكثر اتقانا وتطوراً في المسجد الأموي الشهير بدمشق الذي أمر بعمارته أيضا الخليفة الوليد بن عبد الملك، وتم الفراغ منه في عام ٩٦هـ/ ٧١٤م -أي بعد انتهاء عمارة المسجد النبوي الشريف بنحو خمس سنوات- ويعد الرواق الأوسط -البلاطة الوسطى- في المسجد الأموي (شكل ٣) أقدم إنموذج باق في العمارة الإسلامية كما هو معروف[٧٧]، ثم لم تلبث أن تكررت نماذجه في بعض المساجد الأخرى سواء في

(٧٧) الريحاوي، عبد القادر، العمارة العربية الإسلامية، خصائصها وآثارها في سورية، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، (١٩٧٩ م)، ص ص ٥١ - ٥٢؛ بهنسي، عفيف، الجامع الاموي الكبير، دمشق، دار طلاس، (١٩٨٨م)، ص ١٠٩؛ شافعي، العمارة العربية الإسلامية، ص١١؛ ماهر، سعاد، العمارة الإسلامية على مر العصور، جـ١، جدة، دار البيان العربي، (١٩٨٥)، ص ٢١٤.

Creswell, K . A. C. and Allan J.W , A Short Account of Early Muslim Architecture , A.U.C (1989) , P.52. Hoag, J, Islamic Architecture,New York; Harry N.A Brams, INC, (1994), P.51.Hillenbrand,R,IslamicArchitecture,NewYork,Columbia University Press,(1994) P. 51

العصر الأموي نفسه[٧٨]، أو في العصور التالية[٧٩].

هذا ولم تشر الدراسات السابقة تاريخية كانت أم آثارية[٨٠]، إلى هذا

---

(٧٨) ومن هذه النماذج مسجد قصر الحير الشرقي ١١٠ هـ/٧٢٨م.
الريحاوي، العمارة العربية الإسلامية، ص ٧٥؛
Creswell and Allan, A Short , PP. 156-157, Fig 91.

(٧٩) ومن هذه النماذج الباقية بمدينة القاهرة كل من: الجامع الأزهر وجامع الحاكم من العصر الفاطمي، وجامع الظاهر بيبرس البندقداري من عصر المماليك البحرية.
ماهر، العمارة الإسلامية على مر العصور، جـ١، ص ص٣٩٣ - ٣٩٤؛ شيحة، مصطفى، الآثار الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، (١٩٩٢م)، ص ص ١١١، ١٢١:
عبد الرازق، أحمد، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، جـ١، القاهرة، دار الفكر العربي، (١٩٩٣م)، ص ص ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٣٨، العمري، آمال، الطايش، علي، العمارة في مصر الإسلامية، (العصرين الفاطمي والايوبي)، ديرب نجم، شرقية - ج.م.ع، مكتبة الصفا والمروة، (١٩٩٦)، ص ص ٧٣ - ٨٢، نويصر، حسني، الآثار الإسلامية، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، (١٩٩٨)، ص ص ١٧٤ - ١٨٧.
Hoag, Islamic, PP. 136, 139, 162 Hillenbrand, Islamic, P. 50.
ومن النماذج الأخرى، الجامع الكبير بديار بكر ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١م وغير ذلك.
أصلان أبا، اوقطاي، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، استانبول، (١٩٨٧)، ص٦٣.

(٨٠) ينبغي، بادئ ذي بدء، أن نشير إلى أن جميع المراجع الحديثة التي تناولت دراسة المسجد النبوي الشريف، تاريخية كانت أم آثارية، لم تشر إلى وجود هذا الرواق (البلاط) العمودي بمُقَدَّم المسجد، ولذلك سوف نقتصر فقط على ما صدر من هذه المراجع خلال العقدين الأخيرين من هذا القرن ومن بينها:
أ - المراجع التاريخية:
الخياري، السيد أحمد ياسين أحمد، تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثًا، جدة، دار العلم، ط٤، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص ص ٥٦ - ٥٧؛ الشنقيطي، الدر الثمين، ص ص ٩٥ - ٩٩؛ العلي، الحجاز في صدر الإسلام، ص ص٥٢٢ - ٥٢٣، بدر، عبد الباسط، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، جـ١، المدينة المنورة؛ د. ن، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص ص ٦٧-٦٨؛ بكر، أشهر المساجد في الإسلام، ص ص ٢٠٣ - ٢٠٥؛ حافظ، علي، فصول من تاريخ المدينة المنورة، جدة، شركة المدينة=

الرواق -البلاط- العمودي وظهوره في المسجد النبوي الشريف منذ عمارة الخليفة الوليد بن عبد الملك واستمراره حتى أوائل القرن ٤هـ /١٠م، كما يستدل من مشاهدات ابن عبد ربه المشار إليها، ولذلك خلت المشروعات

=المنورة للطباعة والنشر، ط٢ (١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، ص ص ٨٣ - ٨٤؛ حسن، عمارة وتوسعة المسجد النبوي، ص ص ٩٩ - ١١٥. عبد الغني، تاريخ المسجد النبوي الشريف، ص ص ٤٧ - ٤٩؛ شراب، محمد محمد حسن، المدينة في العصر الأموي، المدينة المنورة، مكتبة دار التراث، دمشق، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص ص٣٤٢ - ٣٤٣؛

ب- المراجع الآثارية:-

تجدر الإشارة إلى أن بعض هذه المراجع تتعلق بالآثار الإسلامية والفن الإسلامي عامة ولكن غالبيتها تتناول العمارة الإسلامية أو المساجد وتوسعة الحرمين الشريفين والحرم النبوي الشريف خاصة، ولذلك سوف نقتصر أيضًا على ما صدر منها خلال العقدين الأخيرين من هذا القرن ومن بينها: بهنسي، عفيف، الفن العربي الإسلامي في بداية تكونه، بيروت، دار الفكر المعاصر دمشق، دار الفكر، (١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م)، ص ص ٢٩ - ٣٠؛ رجب، أحمد، رسوم المسجد الحرام والمسجد النبوي وقبة الصخرة على الآثار والفنون العثمانية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة القاهرة، (١٩٩٣م)، ص ص ٢٦٩ - ٢٧١؛ الريحاوي، العمارة في الحضارة الإسلامية، ص ٢٨؛ شافعي، العمارة العربية الإسلامية، ص ص ١ - ٣؛ عباس، حامد، قصة التوسعة الكبرى، جدة، نشر مجموعة بن لادن السعودية، (١٩٩٥م)، ص ص ٢٠٩ - ٢١٠؛ ماهر، العمارة الإسلامية على مر العصور، جـ ١،ص ص ١١٨ - ١٢٨؛ المعهد العربي لإنماء المدن، المساجد في المدن العربية، توطئة لموسوعة المساجد، (١٩٩٠م)، ص ص ١٠٣ - ١٠٧؛ مؤنس، حسين، المساجد، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٧، المجلس الوطني للثقافه والفنون والآداب، صفر - ربيع الأول، (١٤٠١ هـ/ يناير ١٩٨١م)، ص ص ٦٤ -٦٥؛ نايف، وجدان على، سلسلة التعريف بالفن الإسلامي (١) الأمويون، الأندلسيون، عمان: منشورات الجمعية الملكية للفنون الجميلة، دار البشير، (١٩٨٨ م)، ص ٣٤؛ يحيى، سوسن سليمان، آثارنا الإسلامية، العمارة في صدر الإسلام والعصر العباسي الأول - القاهرة، دار نهضة الشرق، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ص ص ٣٩ - ٤١؛ نويصر، الآثار الإسلامية، ص ص٤٤-٤٥. هذا علاوة على المراجع الآثارية التي صاحبتها المشروعات الهندسية، وسوف نشير إليها في الهوامش التالية.

المصاحبة لبعض هذه الدراسات من توقيع هذا الرواق عليها، كما هو الحال في كل من: مشروعي فكري[٨١] (شكلا ٥-٦)، ومشروع كريزول[٨٢] (شكل ٤)، ومشروعي الشهري[٨٣] (شكلا ٩-١٠).

أما مشروع سوفاجيه (شكل ١) فإنه على الرغم مما شابه من إنتقادات وإعتراضات[٨٤]، إلا أنه يكاد يكون المشروع الأول الذي وقع فيه صاحبه ما يدل على وجود هذا الرواق -البلاط- العمودي[٨٥]. وتجدر الإشارة إلى أن أحمد

(٨١) فكري، المدخل، ص ص ١٨٩ - ١٩٥، شكلا ٨٢ - ٨٣، ومما تجدر الإشارة إليه أن حسن الباشا قد اعتمد كل من مشروعي فكري سواء في عهد الوليد أو في عهد المهدي. الباشا، حسن، أثر عمارة عثمان بن عفان في المسجد الحرام في تخطيط المساجد وفي العمارة الإسلامية، ضمن كتاب: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، جـ٢، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص ص ٢٤٣ - ٢٤٤، شكلا ٧ - ٨.

(٨٢) Creswell , Early Muslim Architecture, Vol,I, Part 1, Oxford, The Glarenden Press, Second Edition, 1969, (1969), PP. 144-164.

(٨٣) الشهري، عمارة المسجد النبوي الشريف، ص ص ١٤٩-١٥٠، ١٥٦-١٦٨، شكلا ٤٥ - ٤٦.

(٨٤) فكري، المدخل، ص ص ١٨٩ - ١٩٤، الشهري، عمارة المسجد النبوي الشريف ص ص ١٤٩-١٥٠.

(٨٥) Sauvaget , LA MOSQUEE OMEYYADE , PP 108-119, Fig, 5., Creswell And Allan, Ashort, PP. 45-46.
ومما تجدر الإشارة إليه أن صالح لمعي قد وقع في كل من مشروعية، سواء في عهد الوليد أو في عهد المهدي، هذا الرواق العمودي، إعتماداً على مشروع سوفاجيه، ولذلك فانه لم يقم بأية محاولة لاثبات وجود هذا الرواق فعلا من عدمه، رغم أنه قد اعتمد على مشاهدات ابن عبد ربه وضمنها كتابه.
لمعي، المدينة المنورة، ص ص ٦٦-٧٧، شكلا ٥٢، ٥٥. كذلك تجدر الإشارة إلى أن (Hillenbrand) قد قام بعمل منظور خيالي تصور فيه شكل المسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبدالملك له (شكل٢) وقد اعتمد في ذلك أيضا على=

فكري قد تحامل كثيراً على سوفاجيه ولا سيما فيما يتعلق بهذا الرواق العمودي، ظنا منه أنه –أي سوفاجيه– قد أساء فهم النصوص العربية وتحوير معانيها وهو الأمر الذي دفعه إلى أن يشير إلى هذا الرواق على أنه هو المقصورة التي أشار إليها المؤرخون العرب، وينهي فكري رأيه بقوله أن سوفاجيه قد حسم نظريته في صورة تخيلها ورسمها للمسجد النبوي ومقصورته(٨٦) .

والحق أن سوفاجيه قد فرق بين هذا الرواق العمودي الذي أطلق عليه مصطلح: LA NEF AXIALE –أي الرواق الاوسط أو المحوري– وبين المقصورة(٨٧) LA MAQSOURA، ومن ثم لا صحة لهذا التحامل وذلك الادعاء ولا سيما فيما يتعلق بوجود هذا الرواق من عدمه.

ومهما يكن من أمر، فإننا نختلف مع سوفاجيه فيما تصوره من وجود قبة تعلو نهاية هذا الرواق، وذلك في المنطقة التي تتقدم المحراب(٨٨)، (أشكال

=مشروع (سوفاجيه) .Hillenbrand, Islamic,PP. 72-73، خلوصي، محمد ماجد عباس، عمارة المساجد، بيروت، دار قابس، (١٩٩٨م)، ص ص ٧٦–٨٠.

(٨٦) فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، جـ١، العصر الفاطمي، القاهرة، دار المعارف، (١٩٦٥م)، ص ص ١٣٠ – ١٣٥، شكل ١٨، ومما يدعو إلى الدهشة أن نجد من الباحثين، من يتبنى هذا الرأي وذلك التحامل دون أن يتقصوا حقيقة ماذكره سوفاجيه نفسه بالرجوع إلى كتابه الأصلي، ولا سيما فيما يتعلق بوجود هذا الرواق العمودي من عدمه، وفيما إذا كان قد اعتبره مقصورة فعلا أم لا.
الكحلاوي، محمد محمد، «مقاصير الصلاة في العصر الإسلامي»، مجلة كلية الأثار، العدد ٣، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، (١٩٨٩م)، ص ص ٢١٢ – ٢١٤، شكلا ٣، ٤.(وسوف نعود إلى مناقشة ذلك الموضوع في دراسة لاحقة بمشيئة الله تعالى).

(٨٧) Sauvaget , La Mosquee. PP, 81-85, 123-124, 152-153, Fig, 11.

(٨٨) Sauvaget, La mosqee, Fig, 11., Creswell and Allan , Ashort, =

١-٢، ٧-٨)، ويرجع ذلك للاعتبارات التالية:

- أنه يصعب إقامة قبة في ذلك الموضع، نظراً لعدم وجود العقود داخل مُقَدَّم المسجد كما سبق القول من جهة، ومن جهة ثانية فإن العوارض أو الجسور الخشبية التي تعلو تيجان أعمدة هذا الرواق العمودي كانت لاتمتد حتى جدار القبلة - أي على يمين ويسار المحراب-، وإنما كانت تنتهي عند حافة الرواق -البلاط- الأول حيث يوجد العمودان السادس والسابع مما يلي الشرق (أو العمودان الحادي عشر والثاني عشر مما يلي الغرب)، وهو ما أكده ابن عبد ربه من أن هذا الرواق العمودي كان لايشق هذا الرواق الأول أي لا يخترقه كما سبق القول(٨٩) ، فكيف إذن يمكن إقامة قبة في ذلك الموضع.

ولعل مما يؤكد ما سبق ذكره، أنه لم تقم قبة في المنطقة التي تتقدم المحراب إلا بعد أن حلت العقود محل العوارض أو الجسور الخشبية، وذلك في العمارة التي أجريت بالمسجد عقب الحريق الثاني عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م، وفي ذلك يذكر السمهودي " وسقفوا مُقَدَّم المسجد سقفا واحداً بعد أن قصروا أساطينه -أعمدته- وجعلوا عليها عقودا من الآجر فوقها أخشاب السقف....."

وبعد ذلك أقاموا قبة فوق المحراب العثماني، ويشرح السمهودي كيفية إقامتها بقوله " وجعلوا على المحراب العثماني قبة على رؤوس الأساطين بعد أن قرنوا إلى كل إسطوانة ثانية، وجمعوا في بعضها بين خمس أساطين، ليتأتى لهم عقد القبة المذكورة.... "(٩٠) .

= P.45., Hillenbrand, Islamic, PP. 72-73.

لمعي، المدينة المنورة، ص ٦٩، شكلا ٥٢، ٥٥؛ خلوصي، عمارة المساجد، ص٧٧.

(٨٩) انظر ص٢٨ من هذا البحث

(٩٠) السمهودي، وفاء الوفا، جـ٢ ، ص ٦٤٠. وتجدر الإشارة إلى أن البرزنجي قد أشار إلى هذا النص أيضا في كتابة نقلا عن السمهودي. انظر: البرزنجي، نزهة=

ومهما يكن من أمر، فإن جميع المشروعات السابقة (أشكال١ -٢، ٤-١٢)، على الرغم مما بذله أصحابها من جهد محمود، لا تخلو من مآخذ و أخطاء تتراوح بين القلة والكثرة من مشروع لآخر، ولذلك حرصت على أن أقوم بعمل مشروع جديد (شكلا ١٣ -١٤)، تحاشيت فيه هذه المآخذ وتلك الأخطاء، وقد اعتمدت في هذا المشروع على ما انتهيت إليه من دراستي لمشاهدات ابن عبد ربه ومقارنتها بماورد في المصادر التاريخية المختلفة، وهو الأمر الذي فصلنا فيه القول على مدار هذا البحث.

المحراب :-

على الرغم من أن المحراب لم يكن يتوسط جدار القبلة، وإنما كان أقرب إلى الشرق منه إلى الغرب (أشكال ١، ٤-١٤) كما سبق القول[٩١]. ونستطيع أن نرجع السبب في ذلك، إلى انه كان من باب الحرص على عدم تغيير موضع القبلة القديم، يؤكد ذلك ماورد في المصادر التاريخية من أن عمر بن عبد العزيز لما صار إلى " جدار القبلة دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالي فقال لهم: تعالوا أحضروا بنيان قبلتكم، لاتقولوا غير عمر قبلتنا، فجعل لا ينزع حجرا إلا وضع مكانه حجراً "[٩٢].

ولذلك يمكن القول بأن موضع المحراب في المسجد النبوي الشريف كان

=الناظرين، ص ٦٨.

(٩١) انظر ص ص ٣٣-٣٤ من هذا البحث.

(٩٢) ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص ٧٢: ابن النجار، أخبار مدينة الرسول،ص ص٨٢ – ص ٨٣: السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ٥٢٠؛ المقدسي، محمد بن أحمد المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، لندن مطبعة بريل، (١٩٠٤م)، ص ٨٠؛ العباسي، أحمد بن عبد الحميد، عمدة الأخبار في مدينة المختار، نشر أسعد درا بزوني الحسيني، ط٢، د.ت، ص ٨٣.

إستثناءً للقاعدة التي اتبعت في غالبية المساجد اللاحقة والمتمثلة في ضرورة أن يتوسط المحراب جدار القبلة، إلا فيما ندر، وربما كان ذلك هو السبب الذي دفع العديد من المؤرخين والرحالة إلى القول بأن محراب المسجد النبوي الشريف يتوسط جدار القبلة، ومن هؤلاء ابن عبد ربه فذكر أنه في " مُوسَطَةَ السور القبلي -أي جدار القبلة-..."[٩٣]. وبعد ذلك زودنا بأدق وصف معروف لدينا حتى الآن، لما كان يكسو هذا المحراب من كسوات زخرفية متنوعة قبل عام ٣١٧هـ / ٩٢٩م وهو ما سنشير إليه فيما بعد[٩٤] . ولم يكتف ابن عبد ربه بذلك، بل قام بتحديد عدد الأبواب التي كانت تقع على جانبي المحراب فذكر أنها بابان أحدهما عن يمين المحراب، وهو الباب الذي يدخل منه الإمام ويخرج، والآخر عن يسار المحراب وهو " باب صغير شطرنجي قد سد بعوارض من حديد[٩٥] .

وقد ورد في المصادر التاريخية أنه كانت توجد بجدار القبلة اربعة ابواب[٩٦] ، وعلى ذلك فإنه يستدل من خلال نص ابن عبد ربه أنه لم يتبق منها

(٩٣) ابن عبد ربه، العقْدَ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦١؛ جـ ٧ تحقيق العريان، ص ٢٥٢: جـ ٧، تَحقيق الترحيني، ص ٢٨٨.

(٩٤) انظر ص ص ٦٥-٦٦ من هذا البحث.

(٩٥) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦١: أما كلمة شطرنجي، فقد وردت في النسَخ الأخرى مشطرج انظر، جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٣: جـ ٧ تحقيق الترحيني، ص ٢٨٩.

(٩٦) أورد السمهودي هذه الأبواب نقلا عن ابن زباله وهي " باب يدخل منه الامراء من ناحية باب مروان إلى المقصورة، وعن يسار القبلة الباب الذي تدخل منه المقصورة من موضع الجنائز، وعن يمين القبلة باب بحذائه سواء في الطرف الآخر، أي في مقابلته، يدعى باب بيت زيت القناديل ذكروا أن مروان عمله، وخوخة آل عمر تحت المقصورة " ويعلق السمهودي على هذا النص، فيذكر أن هذه الابواب الأربعة لم يعدها كلها أحد غير ابن زباله، حيث أنها لم تكن أبوابا عامة، وإنما كانت أبوابا=

قبل عام ٣١٧هـ / ٩٢٩م، سوى بابان أحدهما مستعمل، وهو الباب الأيمن الخاص بدخول وخروج الإمام، أما الباب الآخر وهو الأيسر، فقد كان مسدوداً كما صرح بذلك ابن عبد ربه نفسه، ولذلك لم يستطع أن يحدد لنا وظيفته، إلا أنه من المرجّح أن هذا الباب المسدود، إنما هو الشباك الحديد الذي وضع من أعلى ليحدد موضع خوخة آل عمر رضي الله عنهم التي سدت أثناء عمارة الخليفة المهدي كما سنشير فيما بعد[٩٧].

ومن الملاحظ أنه لم يوقع هذان البابان في غالبية المساقط التي رسمت للمسجد النبوي الشريف سواء في عصر الوليد أو في عصر المهدي (أشكال ٤-٦، ٨-٩، ١١-١٢).

وينفرد ابن عبد ربه بإشارة مهمة للغاية بخصوص سقف المنطقة التي تتقدم المحراب حيث ذكر "وفي البلاط الذي يلي المحراب -أي الرواق الأول مما يلي جدار القبلة والذي كانت تحف به المقصورة كما سنشير فيما بعد- تذهيب كثير وفي وسطه -وفي بعض النسخ الأخرى مُوسَطَته أي عند التقائه بالرواق العمودي- سماء -سقف- كالترس المقدر مجوف كالمحار مذهب"[٩٨].

ويستدل من هذا النص المهم أن المنطقة التي تتقدم المحراب كانت

=خاصة فباب الامراء كان باب دار، وكذلك باب خوخة آل عمر كان للدارو ليس للمسجد، أما باب زيت القناديل، فقد كان باب خزانة للمسجد لايدخل منه عامة الناس. السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ص٦٨٧ - ٦٨٨: ولعل ما ورد في هذا النص يفسر السبب الذي كان وراء قصر المؤرخين أبواب المسجد على عشرين بابا، وذلك عقب عمارة الخليفة المهدي العباسي للمسجد فيما بين عامي ١٦٢ - ١٦٥هـ/ ٧٧٨ - ٧٨١م.

(٩٧) انظر ص ص ٤٥،٥٧ من هذا البحث.

(٩٨) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٠؛ جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٢؛ جـ ٧، تحقيق الترحيني، ص ٢٨٨.

مسقوفة بسقف خشبي مذهب، وكان هذا السقف مجوفًا قليلاً كالمحار (SHALLOW SHELL)، ولعل ذلك ينفي ما أشار إليه البعض من أن هذا السقف كان على هيئة قبة (أشكال ١-٢، ٧-٨) كما سبق القول[٩٩].

المقصورة :-

يعد ابن عبد ربه أول من حدد لنا موضع المقصورة بدقة فذكر أنها " من السور -الجدار- الغربي لاصقة بالباب -أي باب السلام- إلى الفصيل اللاصق بالسور الشرقي، ومن هذا الفصيل يصعد إلى ظهر المسجد...."[١٠٠].

ويؤكد هذا التحديد الدقيق، ما ذكره الرحالة ابن جبير في مشاهداته بقوله " والبلاط -الرواق- المتصل بالقبلة -أي الرواق الأول مما يلي جدار القبلة- من الخمسة بلاطات -أروقة- المذكورة تحف به مقصورة تكتنفه طولا من غرب إلى شرق والمحراب فيها "[١٠١].

وينفرد ابن عبد ربه باشارة مهمة أخرى بخصوص المقصورة حيث ذكر أنها "قديمة مختصرة العمل، لها شرفات وأربعة أبواب "[١٠٢].

ويؤكد هذا النص ماورد في المصادر التاريخية السابقة، من أن الخليفة المهدي، قد أمر بهدم المقصورة الأموية وخفضها إلى مستوى أرضية المسجد، بعد أن كانت مرتفعة عنها -أي الأرضية- بنحو ذراعين[١٠٣]، ولعل ذلك ينفي ما

(٩٩) انظر ص ٣٩ من هذا البحث.

(١٠٠) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦١؛ جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٣؛ جـ ٧، تحقيق الترحيني، ص ٢٨٩.

(١٠١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ص ١٥٢ - ١٥٣.

(١٠٢) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦١؛ جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٣؛ جـ ٧، تحقيق الترحيني، ص ٢٨٩.

(١٠٣) الحربي، المناسك، ص ٣٧٠؛ ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص ٧٤؛ البرزنجي،=

أشار إليه البعض، من أن المقصورة كانت مرتفعة من جهة السقف[١٠٤] ، وكانت هذه المقصورة تشتمل على أربعة أبواب فضلا عن تتويجها بشرفات. ويختم ابن عبد ربه حديثه عن المقصورة بقوله " وخارج المقصورة، قريب منها عن يسار المحراب سرب - سرداب-في الأرض، يهبط فيه على درج فيفضي منها إلى دار عمر بن الخطاب رضي الله عنه"[١٠٥].

ويتفق هذا النص مع ماورد في المصادر التاريخية السابقة، من أن الخليفة المهدي، كان قد همّ بأن يسد " على آل عمر خوختهم فكلموه فيها وجمعوا النساء والصبيان حتى ارتفع الصوت في ذلك المكان، فأذن لهم ففتحوها وخفضوها في الأرض حتى كانت كالسرب، وجعل عليها شباكا من حديد في قبلة المسجد، وزاد في المسجد لتلك الخوخة ثلاث درجات...."[١٠٦] .

=جعفر بن السيد اسماعيل المدني، نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والأخرين، تحقيق أحمد سعيد بن سلم، القاهرة، مكتبة الرفاعي، (١٩٩٥م)، ص ٤٤؛ الشنقيطي، غالي محمد الأمين، الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين، جدة، دار القبلة، مؤسسة علوم القرآن، ط٤، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ص ٩٩؛ السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢ ص ص ٥١٢ ، ٥٣٩.

(١٠٤) المراغي، زين الدين أبي بكر بن الحسين بن عمر أبي الفخر، ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ط٢، (١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م)، ص ٥٤؛ رفعت إبراهيم، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعرة الدينية، جـ١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص ٤٦٣؛ لمعي، المدينة المنورة، ص ٧١؛ وانظر أيضا تعليق السمهودي على ما أورده المراغي في الجزء الثاني من وفاء الوفا، ص ٥١٢.

(١٠٥) ابن عبد ربه، العقْد، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦١، جـ ٧ تحقيق العريان، ص ٢٥٣؛ جـ ٧ تحقيق الترحيني، ص ٢٨٩.

(١٠٦) الحربي، المناسك، ص ٣٧٠؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ٧٤؛ ابن النجار، أخبار مدينة الرسول، ص ٨٥: السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ٥٣٩، المطري، جمال الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد، ت ٧٤١ هـ/ ١٣٤٠م، التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، تحقيق محمد بن عبد المحسن الخيال، نشر=

المنبر :-

حدد ابن عبد ربه موضع المنبر فذكر أنه " عن يمين المحراب -أي على يمين الواقف تجاه المحراب- في أول البلاط -الرواق- الثالث من المحراب -أي مما يلي جدار القبلة- في روضة مفروشة بالرخام محجور حولها به..."[(١٠٧)]

وبعد ذلك يصف لنا هذا المنبر بشكل عام فذكر " وله درج، وسمر في أعلاه لوح لئلا يجلس أحد على الدرجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس عليها، وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما في منابر زماننا الآن، والجذع أمام المنبر، وبشرقي المنبر تابوت يستر به مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم "[(١٠٨)]

القبر الشريف :-

حدد ابن عبد ربه موضع قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، فذكر أنه " بشرقي المسجد في آخر مسقفه القبلي -أي المُقَدَّم-مما يلي الصحن بينه وبين

=أسعد درا بزوني الحسيني، (١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٢ م)، ص ٢٧، عبد الغني، محمد الياس، بيوت الصحابة رضي الله عنهم حول المسجد النبوي الشريف، المدينة المنورة، مركز طيبة للطباعة، (١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م) ، ص ٨٤.

(١٠٧) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٢؛ وقد وردت كلمة (محجور) في النسخ الأخرى (محجوز) والمعنى واحد. ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٣؛ جـ ٧، تحقيق الترحيني، ص ٢٨٩ (وفي هذه النسخة الأخيرة وردت الكلمة على هذا النحو (مجوز) ومن الواضح أنه خطأ مطبعي والصواب أنها (محجوز) كما ورد في النسخة المحققة من قبل العريان، وهي النسخة التي اعتمد عليها الترحيني كثيراً.

(١٠٨) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٢؛ جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٣؛ جـ ٧ تحقيق الترحيني، ص ٢٨٩.

السور -الجدار- الشرقي مثل عشرة أذرع "[١٠٩]

ويتفق هذا التحديد مع ماورد في المصادر التاريخية من أن موضع القبر الشريف كان يقع على يسار الرواقين -البلاطتين- الأولين مما يلي الصحن من جهة المشرق، وكانت مربعة القبر هي نفسها الأسطون -أو العمود- الذي يشغل ركن الصحن من هذه الجهه -أي المشرق- كما سبق القول[١١٠].

ويؤكد الرحالة ابن جبير ذلك بقوله " والروضة المقدسة مع آخر الجهة القبلية مما يلي الشرق، وانتظمت من بلاطاته مما يلي الصحن في السعة إثنين، ونيفت إلى البلاط الثالث بمقدار أربعة أشبار..... "[١١١]

كذلك يتفق ما ذكره ابن عبد ربه، من أن المسافة فيما بين القبر الشريف والجدار الشرقي تقدر بنحو عشرة أذرع مع ماورد في المصادر التاريخية[١١٢]. وفي ضوء ذلك ينبغي أن يصحح موضع القبر الشريف الموقع في غالبية المشروعات التي رسمت للمسجد النبوي الشريف (أشكال١، ٥ -٨، ١١-١٢).

وبعد ذلك يصف لنا هذا القبر الشريف بشكل عام فذكر أنه " قد حُظِّر حوله بحائط بينه وبين السقف مثل ثلاثة أذرع وله ستة أركان، ولُبس بإزار رخام أكثر من قامة، وما فوق الرخام مخلق بالخَلوق"[١١٣] .

ثم يضيف قائلاً " وعلى ظهر المسجد حذاء القبر حجر محجور لئلا

(١٠٩) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٢، جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٣؛ جـ ٧، تَحقيق الترحيني، ص ٢٨٩.

(١١٠) انظر ص ص٢٥-٢٦ من هذا البحث.

(١١١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١٥٠.

(١١٢) انظر هامش رقم ٥٤ من هوامش هذا البحث.

(١١٣) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦ تحقيق أحمد أمين؛ ص ٢٦٢، جـ ٧، تحقيق العريان ص ٢٥٣؛ جـ ٧، تحقيَق الترحيني، ص ٢٨٩.

يمشي عليه"[١١٤] ويتفق هذا النص مع ماورد في المصادر التاريخية السابقة من أن عمر بن عبد العزيز قد بنى على القبر الشريف الحظار المزّور، كراهة أن يشبه تربيعه تربيع الكعبة، وأن يتخذ قبلة فيصلي إليه الناس[١١٥].

كذلك فإنه يتفق مع ماورد بشأن هذا الحظار المزوّر -الحائط لدى ابن عبد ربه- من أنه كان لا يمتد حتى يصل إلى سقف المسجد، بل كانت توجد بينهما مسافة تقدر بنحو ثلاثة أذرع[١١٦]، وكان ذلك دافعا إلى عمل ما أطلق عليه ابن عبد ربه " حجر محجور " أي سور قصير يحدد موضع القبر الشريف من سطح المسجد، خشية أن يمشي فوقه أحد من الناس إذا ما صعد إلى السطح.

ويتفق أيضاً مع ماورد بشأن كسوته بالإزار الرخامي[١١٧] ، وتخليقه

(١١٤) ابن عبد ربه، العقد، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٢؛ جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٤؛ جـ ٧، تحقيق الترحيني، ص ٢٩٠

(١١٥) السمهودي، وفاء الوفاء، جـ ٢، ص ص ٥٤٤، ٥٤٨: خلاصة الوفا، ص ٢٥٣: الحربي، المناسك، ص ٣٧٦.

(١١٦) السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ٥٦٨؛ العباسي، عمدة الأخبار، ص ٨٣؛ وقد حدد العباسي هذه المسافة بمقدار أربعة أذرع، أما صالح لمعي، فقد حددها بمقدار ذراعين. لمعي، المدينة المنورة، ص ٧١.

(١١٧) ورد في المصادر التاريخية أن الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢ -٢٤٧هـ/ ٨٤٦-٨٦١م) أمر اسحاق بن سلمة أن يؤزر الحجرة الشريفة بالرخام، وأنه فعل ذلك، ابن النجار، أخبار مدينة الرسول، ص ١١٤؛ السمهودي، وفاء الوفا، جـ٢، ص٥٧٣. ومن المرجّح أن هذه الكسوة الرخامية للحجرة الشريفة، قد حدثت في أواخر خلافة المتوكل بين عامي ٢٤٦ - ٢٤٧ هـ/ ٨٦٠ - ٨٦١م حين أمر " بمرمة مسجد المدينة فحمل إليه فسيفساء كثير، وفرغ منه في سنة ٢٤٧ هـ/ ٨٦١م"، البلاذري، أحمد بن يحيى، ت ٢٧٩هـ/٨٩٢ م، فتوح البلدان، القسم الأول، تحقيق عبد الله الطباع وعمر الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص١٤.

بالخَلوق[١١٨].

هذا وينفرد ابن عبد ربه بإشارة مهمة، لم يشر إليها أحد، سواء قبله أو بعده، وهي أن الحظار المزّور كان ذا ستة أركان وليس خمسة كما هو متفق عليه في جميع المصادر التاريخية[١١٩]، المعروفة لدينا حتى الآن، فضلا عن المراجع الحديثة،[١٢٠] . (أشكال ١،٥- ١٢).

ولعل ما يؤكد إشارة ابن عبد ربه، أن المصادر التاريخية السابقة له لم تحدد هيئة هذا الحظار، وإنما اكتفت فقط بالإشارة إلى أنه مزّور ومن ذلك ما ذكره ابن زباله بقوله "..... ثم بنى عمر بن عبد العزيز على ذلك البيت –أي القبر

(١١٨) ورد في المصادر التاريخية أن القبر كان يخلق منه ثلثاه أو أقل، إلى أن قدمت الخيزران زوجة المهدي في سنه ١٧٠ هـ/ ٧٨٦ م " فأمرت بالمسجد فخلق ثم خلق القبر كله بإشارة من إبراهيم بن الفضل بن عبد الله مولى هشام بن إسماعيل لجاريتها مؤنسة". الحربي، المناسك، ص ٣٧٢؛ السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص٦٦٢.

(١١٩) خسرو، ناصر، ت ٤٥٢/ ١٠٦٠م، سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط٢، (١٩٧٠م)، ص ١١١؛ وتوجد ترجمة أخرى للكتاب قام بها: أحمد خالد البدلي، الرياض، عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص ١٢١.، كاتب مراكشي، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ٣٨، رحلة ابن جبير ص١٦٨؛ ابن النجار، أخبار مدينة الرسول، ص ص ١١٦ - ١١٧؛ المراغي، تحقيق النصرة، ص ص ٥٢ - ٥٤، البلوي، خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، جـ١، المحمدية، المغرب، مطبعة فضالة، د.ت، ص٢٨٥؛ السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢،ص ص ٥٦٠ - ٥٦٣؛ العباسي، عمدة الأخبار، ص ص ٨٣ - ٨٤؛ البرزنجي، نزهة الناظرين، ص ص ١٨٢ - ١٨٣.

(١٢٠) رفعت، ابراهيم، مرآة الحرمين، مج ١، ص ٤٦٣؛ البتنوني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص ٣٢٨؛
نويصر، الآثار الإسلامية، ص ٥٠؛ حسن، عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف، ص ٦٣، لمعي، المدينة المنورة، ص ٧١.

الشريف- هذا البناء الظاهر، وعمر زوّاه لأن يتخذه الناس قبلة تخص فية الصلاة من بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم "

وما ذكره ابن شبه بقوله " أنه لم يزل بيت النبي الذي دفن فيه ظاهرا حتى بنى عليه الحظار المزّور الذي هو عليه اليوم -أي حتى زمن ابن شبه المتوفى ٢٦٢هـ / ٨٧٥م- حين بنى المسجد، وإنما جعله مزّوراً كراهة أن يشبه تربيعه تربيع الكعبة وان يتخذ قبلة فيصلى إليه "[١٢١].

وما ذكره الحربي بقوله " ثم أمر عمر بباب بيت النبي صلى الله عليه وسلم الشرقي، ثم بنى حوله بيتًا مربعًا بالحجارة والقَصّة وسقفه بالخشب، ثم جعل حول ذلك سوراً وجعله مزّوراً لئلا يصلى إليه فهو هذا السور الذي يرى اليوم -أي حتى زمن الحربي المتوفى ٢٨٥هـ / ٨٩٨م-"[١٢٢].

ويستدل من الروايات السابقة، أن هذا الحظار المزّور -السور أو الحائط- الذي بنى حول القبر الشريف قد استمر على الصفة التي بناه عليها عمر بن عبد العزيز حتى أواخر القرن ٣هـ / ٩م، فإن أخر من أشار إليه هو الحربي المتوفى عام ٢٨٥هـ / ٨٩٨م، وبما أن ابن عبد ربه قد زار المسجد النبوي الشريف بعد ذلك بفترة وجيزة لاتتجاوز الثلاثين عاما على أقل تقدير، حيث أن زيارته كانت قبل عام ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، فإن ذلك يدل على أنه -أي ابن عبد ربه- قد شاهد هذا الحظار نفسه، وأنه كان ذو ستة أركان أو زوايا.

وعلى ضوء ذلك يتضح أن تغيير صفة هذا الحظار ليصبح مخمسا بعد أن كان مسدسا قد حدث بعد زيارة ابن عبد ربه.

ونضيف على ما تقدم فنذكر أن هذا التغيير لم يقتصر فقط على الحظار

(١٢١) السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ص ٥٤٤، ٥٤٨.
(١٢٢) الحربي، المناسك، ص ٣٧٦.

المزّور، وإنما شمل أيضاً الحجرة الشريفة التي أصبحت هي الأخرى مخمسة بعد أن كانت مربعة.

وقد ناقش السمهودي في فصلين متتالين من كتابة الروايات المختلفة المتعلقة بعمارة الحجرة الشريفة وصفتها وصفة الحائز المخمس الدائر عليها، فضلا عن أنه ربط هذه الروايات بما شاهده في الحجرة الشريفة عند إنكشافها في العمارة التي أدركها في عام ٨٨١هـ / ١٤٧٦م وإنتهى إلى القول بأنه قد وقع تغيير في صفة هذه الحجرة فقال في قول " وهي بعيدة مما وجدنا عليه صورة الحجرة الشريفة " وفي قول آخر ذكر ما نصه " وأن الحال شاهد بأنه وقع في بنائها الداخل تغيير، فلم يبق على الصورة المذكوره "[١٢٣]. أي أن الحجرة قد أصبحت مخمسة بعد أن كانت مربعة كما سبق القول.

أما عن تاريخ حدوث هذا التغيير، فإنه من الصعوبة بمكان أن نحدده بدقة، ورغم ذلك فإننا نستطيع، في ضوء المعلومات المتاحة المتوفرة لدينا حتى الآن، أن نحدد الفترة التي حدث فيها، وهي الفترة الواقعة فيما بين زيارة ابن عبد ربه قبل عام ٣١٧هـ / ٩٢٩م، وزيارة الرحالة الفارسي ناصر خسرو (ت٤٥٢هـ / ١٠٦٠م) فإنه كان أول من أشار إلى هذه الصفة الجديدة فذكر " والقبر الشريف بناء مخمس "[١٢٤]، وبعد ذلك تعاقبت الإشارة على هذا النحو في جميع كتابات المؤرخين والرحالة، فضلا عن العلماء والباحثين المحدثين[١٢٥].

(١٢٣) السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ص ٥٦٠ – ٥٧٢؛ خلاصة الوفا ص ص ٢٥٢ – ٢٦٥، ٦٢٢؛ البرزنجي، نزهة الناظرين، ص ص ١٨٢ – ١٨٣.

(١٢٤) خسرو، سفرنامه (الخشاب) ص ١١١ ، (ترجمة البدلي)، ص ١٢١.

(١٢٥) انظر المصادر والمراجع الواردة في الهامشين ١١٩–١٢٠ من هذا البحث.

ب- المُؤخَّر :-

يشغل الضلع الشمالي للصحن، وقد عبر عنه ابن عبد ربه بمصطلح " البلاطات -الأروقة- الجوفية " ثم ذكر أن عددها خمسة بلاطات -أروقة-[١٢٦].

ويتفق هذا العدد مع ماورد في المصادر التاريخية بشأن زيادة الخليفة المهدي فيما بين عامي ١٦٢ - ١٦٥هـ / ٧٧٨ - ٧٨١م، والتي اقتصرت على زيادة وتوسعة المسجد من جهة الشمال، وذلك بإضافة عشرة أساطين -أعمدة- منها خمسة في صحن المسجد -أي أنه هدم الأروقة الأربعه التي كان يشتمل عليها المؤخَّر عقب عمارة الخليفة الوليد بن عبد الملك فيما بين عامي ٨٨ - ٩١هـ/ ٧٠٦ - ٧٠٩م وأدخلها ضمن مسطح الصحن الذي أصبح ضلعاه الجانبيان الشرقي والغربي يمتدان نحو الشمال بمقدار خمسة أساطين وبذلك صار بكل ضلع تسعة عشر إسطونا منها أربعة عشر من عصر المهدي وخمسة من عصر الوليد- وخمسة في مؤخَّره وقد عرفت أروقة المؤخَّر بإسم السقائف الشامية -أي الشمالية- أو سقائف النساء[١٢٧] .

---

(١٢٦) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٢. وقد وردت هذه العبارة في النسخ الأخرى المنشورة والمحققة على النحو التالى " والبلاطات الجنوبية " وهذا خطأ كبير لم يلتفت إلية من قاموا بتحقيق الكتاب سواء في مصر أو في لبنان، فابن عبد ربه لم يستخدم هذا التعبير مطلقا، حيث أنه كان يشير دائماً إلى الجنوب بمصطلح القبلي (مثل البلاطات القبلية، السور القبلي) مما يدل على وجود خطأ في الأصل الذي اعتمد عليه في نشر وتحقيق الكتاب، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد فحسب، وانما حدث أيضاً سقط للكلمة الدالة على عدد هذه البلاطات، وهي (خمسة) كما ورد في النسخة المحققة من قبل أحمد أمين.، ابن عبد ربه، العِقْدُ، جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٤؛ جـ ٧، تحقيق الترحيني، ص٢٩٠.

(١٢٧) ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص ٧٤؛ السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢ ص ص ٥٣٦-٥٣٨ ؛ خلاصة الوفا ص ص ٢٤٩- ٢٥٠؛ الحربي، المناسك ص ٣٧١.

ولعل ما أثبتناه هنا ينفي ما ورد في مشروع كل من: كريزول (شكل ٤)، وسوفاجيه (شكل ١)، وصالح لمعي (شكل ٧) من أن مؤخَّر المسجد عقب عمارة الوليد كان يشتمل على خمسة أروقة والصحيح أنه كان أربعة أروقة فحسب.

وكذلك ينفي ما ورد في مشروع أخر[١٢٨] (شكل١٢) من أن هذا المؤخَّر كان يشتمل عقب عمارة المهدي على ستة أروقة، والصحيح أنه كان خمسة أروقة.

وبما أنه لم يرد في النسخ المنشورة والمحققه التي اعتمدنا عليها ما يشير إلى عدد الأعمدة بأروقة المؤخر، فمن المرجّح أنه حدث سقط في الأصل الذي اعتمد عليه في نشر وتحقيق الكتاب للعبارة المتعلقة بعدد هذه الأعمدة والتي كانت تماثل مثيلتها في أروقة المُقَدَّم كما هو متفق عليه في المصادر التاريخية وأيدته الدراسات الآثارية (أشكال٥-٦، ٨-١٠، ١٣-١٤)، وعلى ضوء ذلك فإن النص الأصلي كان على النحو التالي "والبلاطات الجوفية خمسة في كل صف من صفوف عمدها سبعة عشر عموداً".

---

(١٢٨) ورد هذا المشروع في كتاب: حسن، عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ ص ١١٣، شكل ١٥ ، وعلى الرغم من أن مؤلف الكتاب ذكر أن عدد أروقة الجناح الشمالي خمسة (ص١١٤) إلا أن المشروع قد وقع عليه ستة أروقة، ولا أدري، حتى الأن، عما إذا كان هذا المشروع من رسمه أم أنه نقلة -وهذا هو الأرجح- عن أحد الكتب المتعلقة بتوسعة وعمارة الحرمين الشريفين، رؤية حضارية، التي اعتمد عليها في كتابه، ولم استطع الحصول عليها حتى كتابة هذه السطور.
كذلك تجدر الإشارة إلى أن نفس المشروع قد ورد أيضًا في كتاب عمارة المساجد لخلوصي المشار إليه سابقًا، ولكنه لم يحدد أيضًا اسم صاحب المشروع صراحة، وإن كان قد ذكر في صدر الحديث عن توسعة وعمارة المسجد النبوي الشريف اسم المهندس المعماري محمد كمال إسماعيل، خلوصي، عمارة المساجد، ص ص ٦٦، ٨٠-٧٦، ٨٤-٨٣.

جـ- المجنبتان :

تشغلان كلاً من الضلعين الجانبيين للصحن وهما الضلع الغربي والضلع الشرقي المقابل له، وإذا كان لم يرد شيئا في النسخ المنشورة والمحققة من كتاب ابن عبد ربه والتي اعتمدنا عليها عن المجنبة الشرقية، إلا أن ما أورده ابن عبد ربه عند حديثة عن المجنبة الغربية، يؤكد أنه قد حدث سقط لبعض العبارات في الفقرة التي نتحدث عنها وذلك في الأصل الذي اعتمد عليه في نشر وتحقيق الكتاب، ولذلك سوف نضيف العبارة التي نرجّح أنها سقطت من الأصل بين قوسين، حتى يستقيم المعنى الذي أراد أن يعبر عنه ابن عبد ربه من جهه، والذي يتفق مع ماورد في المصادر السابقة عليه من جهة ثانية.

وفيما يلي نذكر وصف ابن عبد ربه عن المجنبتين حيث قال: "والبلاطات الغربية أربعة (والشرقية ثلاثة) منتظم بعضها ببعض في طولها مع وجه الصحن من القبلة إلى الجوف ثمانية عشر عموداً "(١٢٩).

والحق أن النص بهذه العبارة المضافة بين قوسين يتفق مع الحقائق التاريخية والمعمارية المتعلقة بكل من هاتين المجنبتين والتي تتمثل في أنه يغلب عليهما التماثل والتناظر والإنتظام ولاسيما من حيث البائكة الأولى المطلة على الصحن والتي غالبا ما تكون عقودها عمودية على جدار القبلة -أي تتجه من الجنوب إلى الشمال كما ورد في نص ابن عبد ربه- وقد تحقق ذلك في مجنبتى المسجد النبوي الشريف بعد زيادة الخليفة المهدي التي وصفها ابن عبد ربه حيث كانت تطل كل منهما على الصحن من خلال بائكة ذات تسعة عشر عقداً عمودياً على جدار القبلة ترتكز على عشرين عموداً لم يذكر منها ابن عبد ربه

(١٢٩) ابن عبد ربه، العقْد، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٢؛ جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٤؛ جـ ٧، تحقيق الترحيني، ص ٢٩٠.

سوى ثمانية عشر عموداً.

حيث أنه لم يذكر العمودين بركني صحن المسجد في كل من الجهتين الغربية والشرقية على اعتبار أنهما ضمن أعمدة أروقة كل من المُقَدَّم والمؤخر والتي كانت تشتمل في كل صف من صفوف عمدها على سبعة عشر عموداً على حدقول ابن عبد ربه[١٣٠] .

كذلك كانت البائكات الداخلية بأروقة كل من المجنبتين-وعددها ثلاث بائكات في المجنبة الغربية وبائكتان في المجنبة الشرقية- تتجة، رغم خلوها من العقود، عمودية على جدار القبلة أيضاً وذلك بنفس الطريقة التي أشرنا إليها من قبل[١٣١] .

ولعل ما أثبتناه هنا ينفي ماورد في مشروع صالح لمعي[١٣٢] (شكلا٧-٨) من أن أروقة كل من المجنبتين، كانت تسير موازية للجدارين الغربي والشرقي وبالتالي لجدار القبلة والصحيح أنها كانت عمودية على جدار القبلة كما سبق القول[١٣٣].

الأعمدة:-

سبق القول أن أعمدة المُقَدَّم، كانت من الحجارة المكسية بالجص، بينما كانت أعمدة كل من المؤخر والمجنبتين من الرخام[١٣٤] . أما عن عدد هذه الأعمدة، في ضوء ما ذكره ابن عبد ربه، فقد كانت على النحو التالي:

---

(١٣٠) انظر ص ٢٤ من هذا البحث.

(١٣١) انظر ص ص ٣١-٣٢ من هذا البحث.

(١٣٢) لمعي، المدينة المنورة، ص ص ٦٨، ٧٦.

(١٣٣) انظر ص ص ٣١-٣٢ من هذا البحث.

(١٣٤) انظر ص ص ٢٦-٢٧ من هذا البحث.

المُقَدَّم	١٧ X ٥	=	٨٥
المؤخر	١٧ X ٥	=	٨٥
المجنبة الغربية	١٨ X ٤	=	٧٢
المجنبة الشرقية	١٨ X ٣	=	٥٤
المجموع		=	٢٩٦

ويتفق هذا العدد مع ماورد في غالبية المصادر التاريخية السابقة[١٣٥].

الأبواب :-

يذكر ابن عبد ربه أن بالمسجد النبوي الشريف " ثمانية عشر بابا عتبها مُذهبة، وهي أبواب عظيمة لاغلق عليها، أربعة منها في الجوف -جدار المؤخر- وسبعة في الشرق وسبعة في الغرب"[١٣٦] .

(١٣٥) ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص ٧٧؛ السمهودي (نقلا عن ابن زباله)، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ٦٧٣؛ خلاصة الوفا، ص ٢٩٧؛ وذكر الحربي أنها ٢٩٧، المناسك، ص ٣٨٣؛ وذكر ابن جبير أنها ٢٩٠، على اعتبار أنه لم يدخل في هذا العدد الأعمدة السته بالحجرة الشريفة وعلى ذلك يصير العدد الكلي عنده ٢٩٦ عموداً أيضاً؛

ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ص ١٥٠، ١٥٢؛

أما السمهودي فقد ذكر أن العدد الكلي للأعمدة يبلغ ٢٩٥ عموداً؛ على إعتبار أن أعمدة الحجرة الشريفة خمسة وليست سته حيث سقط أحد أعمدة البائكة الثانية مما يلي الصحن وهو العمود الواقع في داخل الحجرة الشريفة (وهو العمود المظلل في كل من شكلي ١٣-١٤) وقد خفي ذلك على من لم يشاهد الحجرة الشريفة، ولذلك ذكروا أن جملة الأساطين -الأعمدة- ٢٩٦ كما سبق القول. السمهودي، وفاء الوفا، جـ٢، ص ص ٦٧٣ - ٦٧٤؛ خلاصة الوفا، ص ٢٩٧.

(١٣٦) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٢؛ جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٤؛ جـ ٧، تَحقيق الترحيني، ص ٢٩٠.

وبمقارنة هذا العدد بما ورد في المصادر التاريخية السابقة، نجد أن الأبواب الشرقية والغربية كانت سته عشر بابا بواقع ثمانية أبواب بكل جانب[١٣٧].

وعلى ذلك، يمكن القول بأنه قد سد من هذه الأبواب بابان وقت زيارة ابن عبد ربه -أي قبل ٣١٧هـ / ٩٢٩م-، ولذلك أشار إلى أن الأبواب الشرقية والغربية تبلغ أربعة عشر بابا، بواقع سبعة أبواب بكل جانب وليس ثمانية كما سبق القول.

أما أبواب جدار المؤخر -الجدار الشمالي- فيتفق عددها مع ماورد فى المصادر التاريخية السابقة[١٣٨].

وقد أشار ابن عبد ربه في موضع آخر إلى أنه يوجد على جانبي المحراب بابان أحدهما عن يمين المحراب، وهو الباب الذي يدخل منه الامام ويخرج، والآخر عن يسار المحراب، وهو مسدود، وقد رجّحنا أن يكون المقصود بهذا الباب، هو الشباك الحديد الذي يحدد موضع خوخة آل عمر رضي الله عنهم من أعلى كما سبق القول[١٣٩] .

ومن المعروف أنه كانت توجد بجدار القبلة، كما يستدل من المصادر

---

(١٣٧) الحربي، المناسك، ص ٣٨٤؛ ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص ٧٨؛ السمهودي وفاء الوفا، جـ٢، ص ص ٦٨٦ - ٧٠٠؛ لمعي، المدينة المنورة، ص ٧٦؛ حسن، عمارة وتوسعة المسجد الشريف، ص ١١٤؛ الشهري، عمارة المسجد النبوي، ص ص ١٦٠ - ١٦٢؛ عبد الغني، بيوت الصحابة رضي الله عنهم حول المسجد النبوي الشريف ص ص ٦٣ - ٦٦.

(١٣٨) الحربي، المناسك، ص ٣٨٤؛ ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص ٧٨.

(١٣٩) انظر ص ٤٢ من هذا البحث.

التاريخية السابقة، أربعة أبواب [١٤٠]، وبما أنه لم يتبق منها سوى البابين اللذين أشار إليهما ابن عبد ربه، وعلى ضوء ما سبق يتضح أن عدد أبواب المسجد النبوي الشريف كانت تبلغ، طبقاً لمشاهدات ابن عبد ربه قبل عام ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، عشرين بابا بواقع سبعة أبواب في الغرب ومثلها في الشرق، وأربعة أبواب في الشمال -جدار المؤخر-، وبابان في جدار القبلة، أحدهما مسدود وهو الباب الواقع على يسار المحراب كما سبق القول.

المنارات :-

يذكر ابن عبد ربه أن المسجد النبوي الشريف يحتوي على " ثلاث منارات اثنتان في الجوف وواحدة في الشرق"[١٤١] .

ويتفق هذا العدد مع ماورد في المصادر التاريخية السابقة، من أن المنارة الرابعة التي أحدثها عمر بن عبد العزيز في المسجد عقب عمارته له في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٨-٩١هـ / ٧٠٦ - ٧٠٩م) قد هدمت بأمر الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٧ - ٩٩هـ /٧١٥- ٧١٧م)، حيث أنها كانت مطلة على دار مروان، فلما حج سليمان أذن المؤذن فأطل عليه، ومن ثم أمر بهدمها وكان بابها على باب المسجد مما يلي دار مروان[١٤٢] -أي في الركن الغربي للمسجد-.

ومهما يكن من أمر، فإنه يؤخذ على ابن عبد ربه أنه لم يزودنا بأية

---

(١٤٠) انظر هامش رقم ٩٦ من هذا البحث.

(١٤١) ابن عبد ربه، العقد، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٢؛ جـ ٧ تحقيق العريان، ص ٢٥٤؛ جـ ٧، تحقيق الترحيني، ص ٢٩٠.

(١٤٢) الحربي، المناسك، ص ٣٦٨؛ ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص ٢٤٥؛ السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ٥٢٦؛ خلاصة الوفا، ص ٢٤٥؛ ابن النجار، أخبار مدينة الرسول، ص ٨٢؛ المراغي، تحقيق النصرة، ص٥١.

تفاصيل عن هذه المنارات مثلما فعل غيره من المؤرخين والرحالة[١٤٣].

الأرضيات :-

يذكر ابن عبد ربه أن " قاع المسجد كله مفروش بالحصى وليس له حصر "[١٤٤].

ويتفق هذا مع ماورد في المصادر التاريخية، من أن المسجد النبوي الشريف كان مفروشا بالحصى منذ عهد كل من الخليفتين الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، وتفصيل ذلك أن الخليفة عمر كان قد رأى آثار نخامات الناس في مواضع الصفوف -أي الأروقة -حيث أنهم كانوا يبصقون تحت أقدامهم ويدفنونه بالتراب، وهو الأمر الذي كان يترتب عليه بطبيعة الحال رائحة غير مرغوب فيها، ولذلك قال الخليفة عمر رضي الله عنه "لقد هممت أن أبسط مسجدنا هذا حصبا، فقال عثمان بن أبي العاص الثقفي، قد رأيت لكم واديا حصبا، فلوفرشتم في مسجدكم من تلك الحصباء، لكان أنظف وأطيب، فقال عمر بن الخطاب: فمن هذا الوادي المبارك، فحصب من العقيق، وقال عثمان: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول العقيق وادٍ مبارك "[١٤٥].

ولذلك أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يحصب شقا من

(١٤٣) الحربي، المناسك، ص ٣٨٣؛ ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص ٧٧؛ السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ص ٥٢٧ – ٥٢٨؛ رحلة ابن جبير، ص ١٧٣.

(١٤٤) ابن عبد ربه، العقدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٢؛ جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٤؛ جـ ٧، تَحقيق الترحيني، ص ٢٩٠.

(١٤٥) الحربي، المناسك، ص ٣٦٤؛ السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ص ٦٥٥ – ٦٥٧؛ ابن الفقيه، أبي بكر أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م)، ص ٢٧.

القبلة، أي جانباً من مُقَدَّم المسجد، ثم لم يلبث الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه أن حصب المسجد كله بالحصباء [١٤٦].

واستمر المسجد على ذلك حتى زيارة ابن عبد ربه له قبل ٣١٧هـ / ٩٢٩م كما يستدل من وصفه المشار إليه سابقاً، بل واستمر بعد ذلك كما يستدل من كتابات المؤرخين والرحالة اللاحقين[١٤٧].

٢- الكسوات الزخرفية :-

لم تقتصر أهمية مشاهدات ابن عبد ربه على التخطيط المعماري للمسجد النبوي الشريف فحسب، وإنما تتجلى علاوة على ذلك أيضًا، فيما ذكره عن مشاهداته للكسوات الزخرفية المتعددة التي كانت تكسو المسجد وقت زيارته له قبل عام ٣١٧هـ / ٩٢٩م.

والحق أن ما أورده ابن عبد ربه، يعد أقدم وأدق وصف فني مُفصّل معروف لدينا، حتى الآن، لهذه الكسوات قبل الربع الأول من القرن ٤هـ / ١٠م وبالتحديد قبل عام ٣١٧هـ / ٩٢٩م السابق الإشارة إليه.

ومما يزيد ويضاعف من أهمية هذا الوصف وقيمته، أن المصادر التاريخية السابقة لم تُفصل القول في هذه الكسوات، وإنما أشارت اليها على سبيل الاجمال، حيث اكتفت بالقول بأن المسجد مبني بالحجارة المنقوشة والقَصّة الجيدة، وأنه عمل بالمرمر والفسيفساء، كما أن سقفه عمل بالساج والذهب[١٤٨] .

---

(١٤٦) الحربي، المناسك، ص ٣٦٤.

(١٤٧) كاتب مراكشي، الاستبصار، ص ٤١؛ رحلة ابن جبير، ص ١٦٨ ؛ النهروالي، تاريخ المدينة، ص ص ٩٥ – ٩٦، البرزنجي، نزهة الناظرين، ص ٧٧.

(١٤٨) ومن هذه المصادر حسبنا أن نشير إلى كل من:=

ويستدل من ذلك أن هذه الكسوات، كانت متنوعة سواء من حيث موادها الخام أو من حيث طريقة تنفيذها على هذه المواد، وهو ما يؤكده أيضاً ما ذكره ابن عبد ربه بقوله " وحيطان المسجد كلها من داخلة مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها "(١٤٩).

ثم يضيف ابن عبد ربه فيقول " ووجه سور المسجد كله من خارج -أي

= الحربي، المناسك، ص ص ٣٦٤ - ٣٦٥؛ ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص ٧١؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ص ٨١ - ٨٢؛ ابن النجار، أخبار مدينة الرسول ص ص ٨١ - ٨٤، العباسي، عمدة الاخبار، ص ٨٣؛ الدينوري، أحمد بن داود، ت ٢٨٢ هـ/ ٨٩٥م، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، القاهرة سلسلة تراثنا، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الاقليم الجنوبي، (١٩٦٠ م)، ص ٣٢٦؛ الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، معجم البلدان، جـ٥، بيروت دار إحياء التراث العربي، (١٩٧٩م) ص ص ٨٦ - ٨٧؛ ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم، ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م، الكامل في التاريخ، جـ ٤، تحقيق محمد يوسف الدقاق، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٩٨٧م)، ص ص ٢٤٦ - ٢٤٧، ابن خلدون، عبد الرحمن، ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج٣، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر د.ت، ص ٦٠. كذلك تجدر الإشارة إلى أن بعض المصادر التاريخية الأخرى لم يرد فيها أي ذكر للكسوات الزخرفية بالمسجد، ومن بينها كل من فتوح البلدان للبلاذري، ق١، ص ص١٣- ١٤، والبلدان لليعقوبي، ص ص ٧٦ - ٧٧، ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ص ٢٧، ومروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، جـ٣، ص١٦٦؛ والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي، جـ٦، ص ص٢٨٣، ٢٨٥، جـ٨، ص ص ٢٣٨، ٢٤٨، ومن بين كتب الرحالة نذكر كل من، المسالك والممالك للبكري ص ص ٤٠٩ - ٤١٠) والاشارات إلى معرفة الزيارات للهروي، ص ص ٩٠ -٩١، وسفرنامه لناصر خسرو، (ترجمة الخشاب، ص ١١١، وترجمة البدلي، ص ١٢١).

(١٤٩) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٢؛ جـ ٧ تحقيق العريان، ص ٢٥٤، جـ ٧، تَحقيق الترحيني، ص ٢٩٠. وقد نقل هذا النص كل من: السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ٦٧٢، والبرزنجي، نزهة الناظرين، ص ٤٦.

الواجهات الخارجية- منقش بالكدان وكذلك الشرفات "[١٥٠] . ومما تجدر الإشارة إليه أنه يؤخذ على ابن عبد ربه، أنه أهمل تفاصيل غالبية زخارف الواجهات الخارجية، فضلا عن تفاصيل بعض الزخارف الداخلية، ومن المرجّح أن ذلك ربما كان يرجع إلى أنه لم يمكث طويلا بالمسجد النبوي الشريف نظراً لقصر زيارته، ولذلك لم يتمكن من وصف كافه تفاصيل الزخارف المشار إليها، واكتفى بوصف كافة التفاصيل الدقيقة للزخارف التي تكسو مُقَدَّم المسجد ومفرداته المختلفة ولا سيما المنفذه منها على الرخام والخشب وهو ما سوف نوضحه فيما يلي:-

زخارف جدار القبلة:- (شكل ١٥)

وصف ابن عبد ربه هذه الزخارف بقوله " وقد أخذ وجه السور القبلي من داخل المسجد -أي جدار القبلة- بإزار رخام من أساسه إلى قدر القامة منه، وكفّ على الإزار بطوق رخام في غلظ الاصبع، ثم من فوقه إزار دونه في العرض مخلق بالخَلوق، ثم فوقه إزار مثل الأول فيه أربعة عشر بابا في صف من الشرق إلى الغرب في تقدير كُوى المسجد الجامع بقرطبة منقشة مذهبة، ثم فوقه إزار رخام، أيضا فيه صنيفة سماوية فيها خمسة سطور مكتوبة بالذهب بكتاب ثخين غلظة قدر اصبع، من سور قصار المفصَّل[١٥١] ثم فوقه إزار رخام

(١٥٠) ابن عبد ربه، العِقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٢؛ جـ ٧، تحقيق العريان ص ٢٥٤؛ جـ ٧، تَحقيق الترحيني، ص ٢٩٠.

(١٥١) تنقسم سور القرآن الكريم إلى أربعة أقسام هي الطوال والمئون والمثاني والمفصل، وهذا الأخير، هو ما يلي المثاني من قصار السور إلى آخر القرآن الكريم، وسمي بذلك لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة، وقد إختلف العلماء في أوله، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي: طواله وأوساطه وقصاره، العسقلاني، أحمد بن حجر، ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م، فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ٨، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرياض، د.ت ص ٦٥٩؛ السيوطي، جلال الدين، ت=

=٩١١ هـ/ ١٥٠٥م، الاتقان في علوم القرآن، جـ١؛ بيروت، دار الفكر، د.ت، ص ٦٣. ويستدل من خلال ما ورد في المصادر التاريخية أن هذا النقش كان يشتمل على بعض سور قصار المفصَّل كما ذكر ابن عبد ربه حيث تبدأ من سورة الشمس وتنتهي بسورة الناس وهي أخر سور القرآن الكريم. وتضيف بعض المصادر، فتذكر أنه كان يسبق هذه السور سورة الفاتحة، وأنه قد كتب هذه السور الكريمة مولى لآل حو يطب بن عبد العزى يقال له سعد حطبة في قول، وخالد بن أبي الهياج في قول أخر. الحربي، المناسك، ص ص ٣٨٥، ٣٩٥؛ ابن النديم، الفهرست: تحقيق الشيخ ابراهيم رمضان، بيروت، دار المعرفة،(١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م)، ص ١٧؛ ابن النجار، أخبار مدينة الرسول، ص ٨٣، ونضيف على ذلك، فنذكر أن هذا النقش، كان يشتمل اذن على أربعة وعشرين سورة تبدأ من سورة الشمس وهي السورة رقم (٩١) وتنتهي بسورة الناس وهي السورة رقم (١١٤)، واذا صح أنه كان يسبق هذه السور سورة الفاتحة، فإن ذلك يعني أنه كان يشتمل على خمسة وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، وعلى ذلك فإن هذا النقش كان مكتوبا به ١٩٣ آية مباركة، وهي عدد آيات الاربع والعشرين سورة، وإذا أضفنا إليها سبع أيات أخرى وهي عدد آيات سورة الفاتحة يصبح العدد الكلي للآيات المنقوشة ٢٠٠ آية مباركة، وكانت هذه الآيات مكتوبة في خمسة أسطر كما يستدل من وصف ابن عبد ربه.، وينبغي أن نصحح ما أشار إليه عبد الستار الحلوجي بقولة "أما ما يذكره ابن النديم من أن خالد بن أبي الهياج كتب بالذهب كتابا فيه من " والشمس وضحاها " إلى آخر القرآن، وأن هذا الكتاب إستقر به المقام في قبلة المسجد النبوي الشريف، فبعيد الاحتمال وبعيد التصديق أيضاً، خاصة وأنه يفهم من كلام ابن النديم أنه كتب قبل عصر عمر بن عبد العزيز، أي قبل نهاية القرن الأول الهجري، ومما يشجعنا على رفض الخبر، أن صاحب الفهرست يسوقة من غير أن ينسبة إلى مصدره مع أنه متأخر عن ابن أبي الهياج، بما يقرب من ثلاثة قرون، فإذا أضفنا إلى ذلك أن ما تبقى لنا من مصاحف القرون الأولى للهجرة، يؤكد أن تذهيب أسماء السور وعدد الآيات كانت هي الظاهرة الأولى للتذهيب عند العرب، وأنها سبقت الكتابة بماء الذهب، أدركنا أن هذا الكتاب – إن كان قد وجد حقا – لم يكن بخط ابن أبي الهياج وإنما بخط غيره من المتأخرين ".، انظر الحلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي، ط ٢، جدة، مكتبة مصباح، (١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م)، ص ٢٢٧. ولا أدري كيف وقع صاحب هذا الكتاب الذي حصل به على جائزة الملك فيصل العالمية في مثل هذا الخطأ، فقد تصور أن هذا الكتاب انما كان عبارة عن مصحف أو كتاب مكتوب فيه عدد من سور القرآن استقر به المقام في قبلة المسجد

مثل الأول الأسفل فيه ترسة من ذهب منقشة، وبين كل ترسين منها عمود أخضر في حافاته قضبان من ذهب، ثم فوقه إزار رخام فيه صنيفة منقشة عرضها مثل عظم الذراع لها قضبان وأوراق من ذهب، ثم فوقه إزار فسيفساء عريض، ثم السماوات -أي السقف- عليه"[١٥٢]

ويستدل من هذا النص المهم الدقيق للغاية أن جدار القبلة كانت تكسوه من أسفل زخارف رخامية تعلوها الفسيفساء حتى بداية السقف الخشبي، وإذا كان ابن عبد ربه قد أهمل تفاصيل زخارف الفسيفساء، إلا أنه أورد كافة التفاصيل الدقيقة للزخارف الرخامية، والتي كانت منفذة على هيئة إزارات متتابعة يبلغ عددها ستة إزارات، وكان الإزار الأول منها يبدأ من مستوى أرضية جدار القبلة ويرتفع إلى قدر قامة الرجل -أي حوالي ١٧٠سم-، وقد لف على هذا الإزار طوق رخامي يقدر سمكة بنحو إصبع -أي حوالي ٢سم-، ومن الواضح أن هذا الإزار كان غفلا من الزخرفة، ومن ثم فقد كان على هيئة الواح رخامية مجزعة أي لا توجد بها سوى التجاعيد التي تكون أصلا موجودة في مادة الرخام[١٥٣] .

والإزار الثاني يعلو الإزار الأول، إلا أنه أقل منه في العرض، كما أنه مُخلق بالخلوق، ويعلوه الإزار الثالث، وهو يشبة الإزار الأول -أي من حيث ارتفاعه- إلا أنه يختلف عنه من حيث زخرفته، فقد كسى بأربعة عشر بابا في

= النبوي الشريف، ولم يدرك أنه كان مجرد نقش مذهب على جدار القبلة بالمسجد.

(١٥٢) ابن عبد ربه، العقدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ص ٢٦٠ -٢٦١؛ جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٢، جـ ٧ تحقيق الترحيني، ص ٢٨٨.

(١٥٣) أبو خلف، مروان فايز، «الزخارف الأموية في المسجد النبوي الشريف»، مجلة العصور، مج ٩، جـ١ الرياض، دار المريخ، (رجب ١٤١٤هـ/ يناير١٩٩٤م)، ص٥٦.

صف من الشرق إلى الغرب أي على هيئة بائكة مكونة من كُوى أو حنايا مسدودة (BLIND ARCADE) تشبة الأبواب في هيئتها العامة، كما هو الحال في مثيلتها بجامع قرطبة، وكانت هذه البائكة الزخرفية منقشة مزخرفة أي ذات زخارف محفورة، إلا أن ابن عبد ربه لم يزودنا بتفاصيل هذه الزخرفة.

والإزار الرابع يعلو الإزار السابق، وكانت صنيفته-أي طُرته أو حاشيته - المدهونة بلون سماوي تحوي كتابة بارزة بسمك ٢سم مكونة من خمسة سطور مذهبة تشتمل على سور قصار المفصَّل، والإزار الخامس يعلو الإزار السابق، وهو يشبة الإزار الأول -أي من حيث ارتفاعه- إلا أنه يختلف عنه من حيث زخرفته، فقد كسى بترسه -أي شكل دائري أو رصيعة- من ذهب منقشة -أي ذات زخارف محفورة- وكان يوجد بين كل ترسين عمود أخضر اللون حافتاه على شكل قضبان مدهونه بالذهب.

أما الإزار السادس والأخير فقد كان يعلو الإزار الخامس، وكانت صنيفته ذات زخارف محفورة مذهبة عرضها مثل عظم الذراع -أي حوالي ٢٥سم- وقوام هذه الزخارف قضبان وأوراق أي أعمدة وأوراق نباتية بارزة[١٥٤].

وعلى الرغم من اندثار هذه الزخارف الرخامية، إلا أنه يمكن القول بانها كانت تشبه من وجوه كثيرة مثيلتها التي لاتزال باقية في العمائر الأموية الأخرى وبخاصة قبة الصخرة ٧٢هـ / ٦٩١م، والجامع الأموي ٨٦ - ٩٦هـ / ٧٠٥ - ٧١٤م.[١٥٥]

---

(١٥٤) لمعي، المدينة المنورة، ص ص ٦٩ - ٧٠.

(١٥٥) أبو خلف، الزخارف الأموية،ص ص ٥٦ - ٥٧؛ الأفاريز الرخامية المحفورة والمذهبة في العهد الأموي في قبة الصخرة المشرفة في القدس، ضمن فعاليات المؤتمر الرابع لتاريخ بلاد الشام في العهد الأموي، الندوة الثالثة، تحرير محمد عدنان البخيت، عمان (١٩٨٩م)، ص ص٤٦٢ - ٤٨٣.

زخارف المحراب:

وصف ابن عبد ربه هذه الزخارف بقوله " والمحراب في مُوسَطَة السور القبلي، وعلى قوسه قُصَّة من ذهب ناتئة غليظة في وسطها مرآة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة رضي الله عنها، وقبو المحراب مقدر جدا، وفيه دارات بعضها مذهبة وبعضها حمر وسود، وتحت القبو صنيفة ذهب منقشة، تحتها صفائح ذهب مثمنة فيها جزعة في مثل جمجمة الصبي الصغير مسمرة، ثم تحتها إلى الأرض إزار رخام مخلَّق بالخَلوق، فيه الوتد الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليه في المحراب الأول عند قيامه من السجود فيما ذكر والله أعلم... "[١٥٦].

ويستدل من هذا النص المهم، أن محراب المسجد النبوي الشريف كان على هيئة حنية كبيرة مجوفة تعلوها طاقية، وهو ما يؤكده قول ابن عبد ربه المشار إليه من أن قبو المحراب مقدر جداً، وكانت تكسو هذا المحراب كسوات متنوعة، سواء بحنيته أو بطاقيته، وتبدأ كسوة الحنية من أسفل بإزار رخامي مخلَّق بالخَلوق تعلوه صفائح ذهبية مثمنة فيها جزعة مثل جمجمة الصبي الصغير مسمرة، وتعلو ذلك صنيفة ذهبية منقشة، أي ذات زخارف محفورة مذهبة، أما طاقية المحراب فكانت تكسوها أشرطة دائرة بها -أي أنها تشغل الطاقية كلها من الشرق إلى الغرب- بعضها مذهبة، وبعضها تتناوب فيها الألوان ما بين الأحمر والأسود -أي وفق النظام المشهر-وكان يعلو عقد - قوس- طاقية المحراب، أي أعلى صنجته المفتاحية (KEY STONE) قُصَّه من ذهب بارزة سميكة، في وسطها مرآة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة رضي الله

(١٥٦) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦١؛ جـ ٧، تحقيق العريان ص ص ٢٥٢ - ٢٥٣؛ جـ ٧، تحقيق الترحيني، ص ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

عنها كما سبق القول.

زخارف القبر النبوي الشريف:

يذكر ابن عبد ربه أنه قد " لُبِس بإزار رخام أكثر من قامة، وما فوق الرخام مخلَّق بالخَلوق"(١٥٧). ويستدل من هذا النص أن جدران حجرة القبر الشريف، كانت مكسوه بازار رخامي يبدأ من مستوى أرضية الحجرة، ويرتفع إلى أكثر من قامة الرجل -أي اكثر من ١٧٠سم-، ومن المرجّح أن هذه الكسوة الرخامية قد حدثت في أواخر خلافة المتوكل على الله وبالتحديد بين عامي ٢٤٦ - ٢٤٧هـ / ٨٦٠ - ٨٦١م.

أما بقية جدران الحجرة فقد خلقت بالخَلوق وكان ذلك منذ عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م كما سبق القول (١٥٨).

الزخارف الخشبية:

استعملت هذه الزخارف في سقف المسجد والجسور أو العوارض الحاملة له فضلا عن تيجان الأعمدة وأعتاب الأبواب وواجهات العقود المطلة على الصحن، ويؤكد ذلك ما أوردة ابن عبد ربه من إشارات كثيرة منها " والعمد المجصَّصة على قواعد عظيمة مربعة ورؤوسها -أي تيجانها- مذهبة عليها نجف -جسور أو عوارض- منقشة مذهبة ثم السموات (السقف) على النجف، وهي أيضاً منقشة مذهبة ومنها " وحنايا المسجد كلها -أي العقود أو الاقواس- مما يلي الصحن مشدودة من جهاتها الأربع إلى مناكب العمد من داخلة مزخرفة بخشب منقش "

---

(١٥٧) ابن عبد ربه، العقْد، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين، ص ٢٦٢؛ جـ ٧، تحقيق العريان، ص ٢٥٣؛ جـ ٧ تَحقيق الترحيني، ص ٢٨٩.

(١٥٨) انظر ما ورد في الهامشين ١١٧-١١٨ من هذا البحث.

ومنها " وله -أي للمسجد- ثمانية عشر بابا عتبها مذهبة.... "[١٥٩].
ويستدل من هذه الإشارات، أن غالبية الزخارف كانت محفورة ومذهبة، كذلك أشار ابن عبد ربه إلى أن سقف البلاط -الرواق- العمودي كان كله مذهبا.

وإذا كان ابن عبد ربه قد أهمل تفاصيل هذه الزخارف الخشبية المحفورة والمذهبة في المواضع المشار إليها، إلا أنه زودنا بإشارة مهمة للغاية عن سقف البلاط -الرواق- الأول مما يلي جدار القبلة -أي سقف المقصورة- حيث ذكر "وفي البلاط الذي يلي المحراب تذهيب كثير وفي مُوَسَطته -أي عند التقائة بالبلاط العمودي- سماء كالترس المقدر مجوف كالمحار مذهب"[١٦٠].

وعلى الرغم من اندثار هذه الزخارف الخشبية، إلا أنه يمكن القول أنها كانت تشبه من وجوه كثيره مثيلتها التي لاتزال باقية في العمائر الأموية الأخرى ولاسيما سقف المسجد الأقصى في القدس الشريف[١٦١].

زخارف الفسيفساء:

سبق القول أن ابن عبد ربه قد أشار إلى هذه الزخارف، الا أنه لم يفصل القول في تفاصيلها المختلفة.

ورغم ذلك فإنه يستدل من خلال الاشارات القليلة المتناثره في المصادر التاريخية[١٦٢] من جهة، ووصف ابن جبير لهذه الزخارف في عام ٥٨٠هـ /

(١٥٩) ابن عبد ربه، العقْدُ، جـ ٦، تحقيق أحمد أمين،ص ص ٢٦٠-٢٦٢؛ جـ٧، تحقيق العريان، ص ص ٢٥٢، ٢٥٤؛ جـ ٧، تحقيق الترحيني، ص ص ٢٨٨، ٢٩٠.
(١٦٠) انظر ص ٤٣ من هذا البحث.
(١٦١) أبو خلف، الزخارف الأموية، ص ص٥٧ - ٥٨.
(١٦٢) ومن هذه الإشارات ما قيل على لسان بعض العمال الذين عملوا هذه الفسيفساء " انما عملناه على ما وجدنا من صور شجر الجنة وقصورها "، ومنها ما قيل من أن عمر بن عبد العزيز كان "إذا عمل العامل الشجرة الكبيرة من الفسيفساء فأحسن=

١١٨٤م من جهة ثانية[١٦٣] أن هذه الزخارف كانت تشبة من وجوه كثيرة مثيلتها التي لاتزال باقية في العمائر الأموية الأخرى ولا سيما كل من قبة الصخرة والجامع الأموي[١٦٤].

مما تقدم يمكن القول بأن وصف ابن عبد ربه، إنما هو في واقع الأمر وصف لحالة المسجد النبوي ونظامه وتخطيطه عقب عمارة الخليفة المهدي العباسي له فيما بين عامي ١٦٢ - ١٦٥هـ / ٧٧٨ - ٧٨١م وحتى الربع الأول من القرن ٤هـ /١٠ وبالتحديد قبل عام ٣١٧هـ / ٩٢٩ م وهو تاريخ زيارة ابن عبد ربه للمسجد ووصفه له.

ونضيف على ذلك، فنقول أنه لم يرد في المصادر التاريخية ما يدل على أن أحدا من خلفاء بني العباس، قد زاد في المسجد ووسعه بعد المهدي ما خلا بعض ترميمات وتجديدات لم تغير من جوهر عمارته شيئا حتى قبل عام ٣١٧هـ/ ٩٢٩م المشار إليه سابقاً.

ومن هذه الأعمال ما حدث في عهد كل من الخليفة هارون الرشيد ١٧٠ - ١٩٣هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨ م، والخليفة المتوكل على الله ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٦١م، والخليفة المعتضد ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٠١م، والخليفة المقتدر بالله ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ -٩٣٢م[١٦٥].

=عملها نفله عمر -أي أعطاه زيادة عن أجره- ثلاثين درهما " الحربي، المناسك، ص ٣٦٥؛ السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ص ٥١٩، ٥٢٣؛ ابن النجار، أخبار مدينة الرسول، ص ٨٢.

(١٦٣) رحلة ابن جبير، ص ١٧٢؛ ومما تجدر الاشارة إلية أن السمهودي قد نقل وصف ابن جبير للكسوات الزخرفية عامة والفسيفساء خاصة. السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص١٧٢.

(١٦٤) أبو خلف، الزخارف الأموية، ص ص ٥٤ - ٥٥.

(١٦٥) الحربي المناسك، ص ٣٨٩، ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص ٧٥، ابن النجار،=

أماما أشار إليه ابن قتيبه[١٦٦] من أن الخليفة المأمون ١٩٨ - ٢١٨هـ/ ٨١٣ - ٨٣٣م قد زاد في المسجد النبوي الشريف زيادة كبيرة ووسعه في عام ٢٠٢ هـ / ٨١٧م، فأمر لم يشر إليه أحد من مؤرخي المدينة من جهة، وأنكره كثير من المؤرخين من جهة ثانية.

ويعلق السمهودي على ذلك، فيذكر أن ما أورده ابن قتيبه لادلالة فيه على زيادة المأمون في المسجد، لاحتمال أنه وقع في زمنه عمارة من غير أن يزيد فيه[١٦٧] .

ونحن نؤيد ما ذكره هؤلاء وأولئك بل و نؤكده أيضًا، فمن جهة يلاحظ خلو جميع النقوش الكتابية[١٦٨] التي كانت بالمسجد النبوي الشريف من الاشارة إلى إسم المأمون، ومن جهة ثانية فإن النص الذي أورده ابن قتيبه نفسه يخلو من الاشارة إلى إسم المأمون كذلك، على الرغم من أنه -أي ابن قتيبه- ذكر أنه قرأ هذا النص في موضع زيادة المأمون[١٦٩]. وان لم يحدد ذلك الموضع.

=اخبار مدينة الرسول، ص ٨٦، السمهودي، وفاء الوفا، جـ٢، ص ص ٥٤٠، ٥٧٣، ٦٦٢، الشهري، عمارة المسجد النبوي، ص ص ١٨٦ - ١٩٠:
البكري (أبي عبيد) ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمه والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، (١٩٩٢م)، ص ٤١٠.

(١٦٦) ابن قتيبة، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة، مطبعة دار الكتب، (١٩٦٠م)، ص٥٦٢.

(١٦٧) السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ٥٤٠.

(١٦٨) وردت هذه النقوش في بعض المصادر التاريخية وقد قرأها بعض االمؤرخين والرحالة وحسبنا أن نشير إلى كل من: الحربي، المناسك، ص ص ٣٨٥ - ٣٩٥. ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص ص ٧٥ - ٧٦.

(١٦٩) ابن قتيبه، المعارف، ص ٥٦٢؛ الشهري، عمارة المسجد النبوي، ص ١٨٩.

ومع ذلك، فإنه يستدل من خلال ماورد في بعض المصادر التاريخية، أنه قد حدثت بالمدينة المنورة ثورة علوية في بداية خلافة المأمون وبالتحديد في عام ٢٠٠هـ / ٨١٥م، وقد قاد هذه الثورة محمد بن جعفر بن محمد الذي دعا إلى نفسه، وكان من نتيجة ذلك أن تعرضت بعض نقوش المسجد للتغيير والتبديل، ومن ذلك أنهم -أي العلويين- قاموا بقلع الفسيفساء المكتوب فيها اسم المهدي ووضعوا بدلا منه اسم محمد بن جعفر، وظل الحال على ذلك لمدة ثلاثة أيام حيث تمت الغلبة لجند بني العباس ومن ثم قاموا بحك اسم محمد بن جعفر[١٧٠].

وعلى ضوء ذلك فإنه من المرجّح أن المأمون قد أمر بإجراء مرمة للمسجد، وبخاصة الفسيفساء التي تعرضت للتغيير والتبديل، ومن ثم عاد اسم المهدي لموضعه مرة ثانية كما يستدل من النقوش الكتابية التي كانت بالمسجد والوارد ذكرها في المصادر التاريخية المختلفة[١٧١] .

ثالثاً: عمارة المسجد النبوي الشريف بعد ابن عبد ربه وحتى الربع الأخير من القرن ٦هـ / ١٢م

كان من المفروض أن نقف في دراستنا عند الحد الذي بلغناه، لولا أن ما توصلنا إليه من نتائج جديدة، قد اقتضت منا أن نناقش ما انتهت إلية الدراسات الآثارية السابقة من آراء هي المعوّل عليها حتى كتابة هذا البحث، ومن ثم كان لزاما علينا أن نفرد هذا المبحث، حتى نستطيع أن نضع أيدينا على الصورة الأقرب إلى الصحة والصواب التي كانت عليها عمارة المسجد عقب زيارة ابن عبد ربه ووصفه له قبل عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩م وحتى الربع الأخير من القرن ٦هـ/١٢م وبالتحديد عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م، وهو العام الذي

---

(١٧٠) الحربي، المناسك، ص ص ٣٧٢ - ٣٧٣.

(١٧١) انظر المصادر الواردة في الهامش ١٦٥ من هذا البحث.

زار فيه المسجد الرحالة ابن جبير ووصفه وصفا دقيقاً في رحلته كما سنشير فيما بعد.

هذا واذا كانت جميع الأراء السابقة، تكاد تتفق على أن المسجد النبوي الشريف، قد بقى محتفظا بنظام تخطيطه عقب عمارة الخليفة المهدي له فيما بين عامي ١٦٢ - ١٦٥هـ / ٧٧٨ - ٧٨١م، إلا أنها تختلف فيما بينها حول التاريخ الذي تغير فيه هذا النظام فيرى سوفاجيه أنه عام ٨٨٦هـ / ١٤٨١م وهو العام الذي وقع فيه الحريق الثاني للمسجد[١٧٢]، بينما يرى غالبية العلماء والباحثين أنه عام ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م وهو العام الذي وقع فيه الحريق الأول للمسجد[١٧٣].

ولما كان ابن جبير، قد زار المسجد النبوي الشريف في الربع الأخير من القرن ٦هـ / ١٢م وبالتحديد في عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م -أي قبل وقوع الحريق الأول بنحو أربع وسبعين عاماً-، ووصفه و صفاً دقيقاً فقد استنتج أحمد فكري ومن نهج نهجه من الباحثين، أن ذلك الوصف إنما هو في واقع الأمر وصفًا لحالة المسجد ونظامه في عهد الخليفة المهدي أي في عام ١٦٥هـ / ٧٨١م.[١٧٤]

وحتى يمكن قبول هذا الرأي من عدمه يحسن بنا - باديً ذي بدء - أن نشير إلى وصف ابن جبير للمسجد النبوي الشريف ونقارنه بما سبق أن توصلنا إليه من نتائج.

---

(١٧٢) Sauvaget, La Mosquee, pp. 48, 53, 67.

(١٧٣) فكري، المدخل، ص ١٧٩، لمعي، المدينة المنورة، ص ٧٩؛ الشهري، عمارة المسجد النبوي، ص ١٨٦.

(١٧٤) فكري، المدخل، ص ص ١٧٩ - ١٨٠، رجب، رسوم المسجد الحرام والمسجد النبوي وقبة الصخرة، ص ص ٢٦٩ - ٢٧١.

والواقع أن وصف ابن جبير، يعد وصفا دقيقاً وشاملاً للمسجد على الحالة التي رآه فيها في عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م، حيث يقول " المسجد المبارك مستطيل وتحفه من جهاته الأربع بلاطات مستديره به ووسطه كلّه صحن مفروش بالرمل والحصى، فالجهة القبلية منها -المُقَدَّم- لها خمسة بلاطات -أروقة- مستطيلة من غرب إلى شرق -أي موازية لجدار القبله-، والجهة الجوفّية -المؤخر- لها أيضاً خمسة بلاطات على الصفة المذكور، والجهة الشرقية لها ثلاث بلاطات والجهة الغربية لها أربعة بلاطات، والروضة المقدسة مع أخر الجهة القبلية -المُقَدَّم- مما يلي الشرق وانتظمت من بلاطاته مما يلي الصحن في السعة اثنين ونيفت إلى البلاط الثالث بمقدار أربعة أشبار ولها خمسة أركان بخمس صفحات وشكلها شكل عجيب لايكاد يتأتى تصويره ولا تمثيله، والصفحات الأربع محرفة من القبلة تحريفا بديعاً لايتأتى لأحد معه استقبالها في صلاته لأنه ينحرف عن القبلة... وأخذت أيضاً -أي الروضة المقدسة- من الجهة الشرقية سعة بلاطتين فانتظم داخلها من أعمدة الأبلطة ستة..."[١٧٥].

---

(١٧٥) رحلة ابن جبير، ص ص ١٦٨ - ١٦٩ ، وتجدر الإشارة إلى أن ابن جبير كان قد زار في نفس العام -أي ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م- الجامع الأموي بدمشق ووصفة وصفاً دقيقاً للغاية، غير أن الذي يعنينا منه في هذا المقام، هو وصفه للبلاط -الرواق- الاوسط العمودي بقوله " وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاثة مستطيلة من الشرق إلي الغرب.. وقد قامت على ثمانية وستون عموداً منها أربع وخمسون سارية وثماني أرجل -دعامات- جصية تتخللها، وإثنتان مرخمه معها في الجدار الذي يلي الصحن، وأربع أرجل مرخمة أبدع ترخيم.. قائمة في البلاط الأوسط تقل قبه الرصاص مع القبة التي تلي المحراب... " رحلة ابن جبير، ص ٢٣٧، ويدل هذا الوصف على مدى دقه ابن جبير من حيث أنه فرق بين البلاطات -الاروقة- الموازية لجدار القبلة والبلاط -الرواق- الاوسط الذي يقطعها، ويمتد من الصحن إلى جدار القبلة، وان دل هذا على شئ، فإنما يدل على أن ابن جبير لم يشاهد مثل هذه=

وعن المقصورة يذكر " والبلاط المتصل بالقبلة -أي البلاط أو الرواق الأول مما يلي جدار القبلة- من الخمسة بلاطات المذكورة تحف به مقصورة تكتنفه طولا من غرب إلى شرق والمحراب فيها.... "(١٧٦)

والحق أنه إذا كان وصف ابن جبير يتفق مع ماهو معروف عن تخطيط كل من المجنبتين والمؤخر، إلا أنه يختلف إلى حد كبير مع ما سبق أن توصلنا إليه من نتائج حول تخطيط المُقَدَّم، وفي ضوء ذلك يمكن القول بأنه قد حدثت عمارة للمسجد في الفترة الواقعة فيما بين زيارة ابن عبد ربه للمسجد ووصفه له قبل عام ٣١٧هـ/٩٢٩م، وزيارة ابن جبير ووصفه للمسجد في عام ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م، وكان من نتيجة هذه العمارة حدوث تغيير جوهري في تخطيط المُقَدَّم، ويتمثل ذلك التغيير في إلغاء البلاط العمودي -مُوسَطَة البلاطات على حد قول ابن عبد ربه- الذي يقطع صفوف البلاطات الخمس الموازية لجدار القبلة والذي كان يمتد من الصحن إلى حافة البلاط الأول مما يلي جدار القبلة حيث أنه كان لايشقه (أي لا يخترقه) على حد قول ابن عبد ربه السابق الاشارة إليه.

وقد ترتب على هذا الإلغاء إجراء تغيير آخر بسقف المقصورة ولا سيما عند التقائها بهذا البلاط العمودي، حيث توجد المنطقة المربعة التي تتقدم

=البلاطة الوسطى -الرواق الاوسط- في المسجد النبوي الشريف، ومن ثم لم يشر إليه في وصفة كما سبق القول، ومما يؤكد ذلك أيضاً أن ابن جبير كان يحرص في وصفه على عقد المقارنات، ومن ذلك ما ذكرة عن جامع الكوفة بقولة " وهو جامع كبير في الجانب القبلي منه خمسة أبلطة -أروقة-، وفي سائر الجوانب بلاطان، وهذه البلاطات على أعمدة من السواري الموضوعة من صم الحجارة، المنحوتة قطعة على قطعة، مفرغة بالرصاص، ولا قسي -أي عقود- عليها على الصفة التي ذكرناها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي في نهاية الطول متصلة بسقف المسجد، فتحار العيون في تفاوت إرتفاعها، فما أرى في الأرض مسجداً أطول أعمدة منه ولا أعلى سقفاً ". رحلة ابن جبير ص ص ١٨٧ - ١٨٨.

(١٧٦) رحلة ابن جبير، ص ١٧١.

المحراب، ويتمثل هذا التغيير في إلغاء سقف هذه المنطقة، والذي كان سقفاً مجوفا قليلا كالمحار (SHALLOW SHELL) على حد قول ابن عبد ربه أيضا[(١٧٧)].

ولما كان وصف ابن جبير، يخلو من الاشارة إلى كل من البلاط – الرواق– العمودي وسقف المنطقة المربعة التي تتقدم المحراب، فإن هذا يدل على أن هذا التغيير قد حدث قبل زيارته للمسجد ووصفه له عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م.

مما تقدم يمكن القول بأن وصف ابن جبير، ليس وصفا لحالة المسجد النبوي الشريف ونظامه في عهد المهدي العباسي، كما أشار إلى ذلك أحمد فكري ومن نهج نهجه، لأن وصف ابن عبد ربه قبل ٣١٧هـ / ٩٢٩م هو الأقرب إلى الصواب والحقيقة كما سبق القول. وعلى ذلك فإن القول بأن المسجد النبوي الشريف، قد بقى محتفظا بنظام تخطيطه عقب عمارة المهدي العباسي له (١٦٢ – ١٦٥هـ / ٧٧٨ – ٧٨١م) حتى عام ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م أو عام ٨٨٦هـ / ١٤٨١م أمر يجانبه الصواب إلى حد كبير، ولا سيما فيما يتعلق بتخطيط مُقَدَّم المسجد الذي أثبتنا أنه حدث به تغيير جوهري في الفترة الواقعة فيما بين زيارة ابن عبد ربه قبل عام ٣١٧هـ / ٩٢٩م، وزيارة ابن جبير عام٥٨٠ هـ /١١٨٤م.

ولكن هل يمكن لنا أن نحدد تاريخا دقيقاً أو محدداً لحدوث هذا التغيير؟

والواقع أنه من الصعوبة بمكان تحديد هذا التاريخ في ضوء المعلومات المتاحة المتوفرة لدينا حتى الأن، فمن جهة اكتفت المصادر التاريخية بالإشارة إلى ما أجري بالمسجد من ترميمات وتجديدات وإصلاحات من قبل خلفاء بني العباس، ولكن دون تحديد لطبيعة هذه الأعمال وتفاصيلها إلا فيما ندر.

(١٧٧) انظر ص ٤٣ من هذا البحث.

ويؤكد ذلك ما أشار إليه ابن النجار بقوله " ولم تزل الخلفاء من بني العباس ينفذون الأمراء على المدينة، ويمدونهم بالأموال لتجديدما يتهدم من المسجد، ولم يزل ذلك متصلا إلى أيام الامام الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢هـ/ ١١٧٩ - ١٢٢٥م) أمير المؤمنين، فإنه ينفذ في كل سنة من الذهب العين الإمامي ألف دينار لأجل عمارة المسجد، وينفذ عدة من النجارين والبنائين والنقاشين والجصاصين والحراقين والحدادين... وينفذ من الحديد والرصاص والأصباغ والحبال والالات شيئاً كثيراً، ولا تزال العمارة متصلة في المسجد ليلاً ونهاراً على أنه ليس به إصبع إلا عامر....)[١٧٨].

وعلى الرغم من أن ابن النجار لم يحدد لنا طبيعة هذه العمارة، ولم يشر إلى تفاصيلها، إلا أنه من الواضح، كما يستدل من النص المشار إليه، أنها كانت عمارة كبيرة، كان الغرض منها هو إجراء ترميمات وتجديدات وإصلاحات كثيرة بدليل هذا العدد من مختلف الحرفيين المتعلقين بالبناء وفنونه، فضلا عن الأدوات والآلات اللازمة، ويمكن القول بأن هذه العمارة قد شملت، علاوة على ذلك، إضافة بعض الوحدات والعناصر الجديدة، ومنها قبة الزيت التي أنشئت في عام ٥٧٦هـ / ١١٨٠م[١٧٩]، وقد شاهدها ابن جبير بعد الفراغ منها بأربع سنوات ووصفها بقوله " وفي جهة جوف الصحن قبة كبيرة محدثة جديدة تعرف بقبة الزيت هي مخزن لجميع آلات المسجد المبارك وما يحتاج إليه فيه[١٨٠].

ومن جهة ثانية، فإن الرحالة الذين زاروا المسجد النبوي الشريف، فيما

(١٧٨) ابن النجار، أخبار مدينة الرسول، ص ص ٩٠-٩١؛ الشهري، عمارة المسجد النبوي، ص ١٩٤.
(١٧٩) السمهودي، وفاء الوفا، جـ ٢، ص ٦٠٠؛ البرزنجي، نزهة الناظرين، ص ٥٧.
(١٨٠) رحلة ابن جبير، ص ١٧٢.

بين ابن عبد ربه وابن جبير، قد اعتمدوا أكثر ما اعتمدوا على نقل الروايات التاريخية من المصادر السابقة، ومن ثم لاتقدم لنا مشاهداتهم أي جديد سواء فيما يتعلق بتخطيط المسجد عامة وتخطيط مُقَدَّمة خاصة، ومن بين هؤلاء نذكر كل من ابن الفقيه[(١٨١)] (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١ م أو ٣٦٥هـ / ٩٧٥م) والمقدسي[(١٨٢)] (ت بعد ٣٧٥هـ / ٩٨٥م) وناصر خسرو[(١٨٣)] (ت٤٥٢هـ / ١٠٦٠م)، والبكري[(١٨٤)] (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩١م).

ويستثنى من هؤلاء صاحب كتاب " الاستبصار في عجائب الأمصار " الذي قدم لنا وصفا دقيقاً للمسجد النبوي الشريف بما في ذلك محرابه ومنبره والروضة المقدسة وأعمدته وأبوابه وغير ذلك، غير أن الذي يعنينا من ذلك الوصف هو ما يتعلق بتخطيط المسجد حيث ذكر " ومسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) مستطيل غير مربع، يزيد طوله على عرضه ١٠٠ ذراع، وسماء المسجد منقوشة مدهونة محفورة مذهبة، كلها على عتب منقوشة على أعمدة خرز أسود بعضه على بعض ملبسه بالجيار -الجص-، وهو ليس على أقواس -عقود- إلا ما كان إلى الصحن، فانه أقواس معقودة وجوهها منزلة باالفسيفساء على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار، والأعمدة التي إلى صحن المسجد هي أقصر من التي عليها سماء -أي سقف- المسجد، وتلك الأقواس التي إلى صحن المسجد مغلقة بشراجيب الساج، مُقَدَّم المسجد خمس بلاطات معترضة -أي تسير موازية لجدار القبلة من الغرب إلى الشرق- ومُؤَخَّرة مثل

(١٨١) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٧.

(١٨٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ص ٨١ - ٨٢.

(١٨٣) خسرو، سفر نامه، (ترجمة الخشاب)، ص ١١١، (ترجمة البدلي) ص ١٢١.

(١٨٤) البكري، المسالك والممالك، جـ ١، ص ص ٤٠٨ - ٤١٢.

ذلك، ومجنبة المسجد الشرقية فيها ٣ بلاطات ومجنبته الغربية ٤ بلاطات...."(١٨٥)

وإذا كان هذا الوصف يتفق مع وصف ابن عبد ربه في وجوه كثيرة، إلا أنه يختلف عنه من حيث خلوه من الإشارة إلى البلاط -الرواق- العمودي الذي يقطع صفوف البلاطات الخمس الموازية لجدار القبلة، والذي عبر عنه ابن عبد ربه بقوله مُوسَطَة البلاطات كما سبق القول، فضلا عن أنه لم يشر كذلك إلى سقف المقصوره.

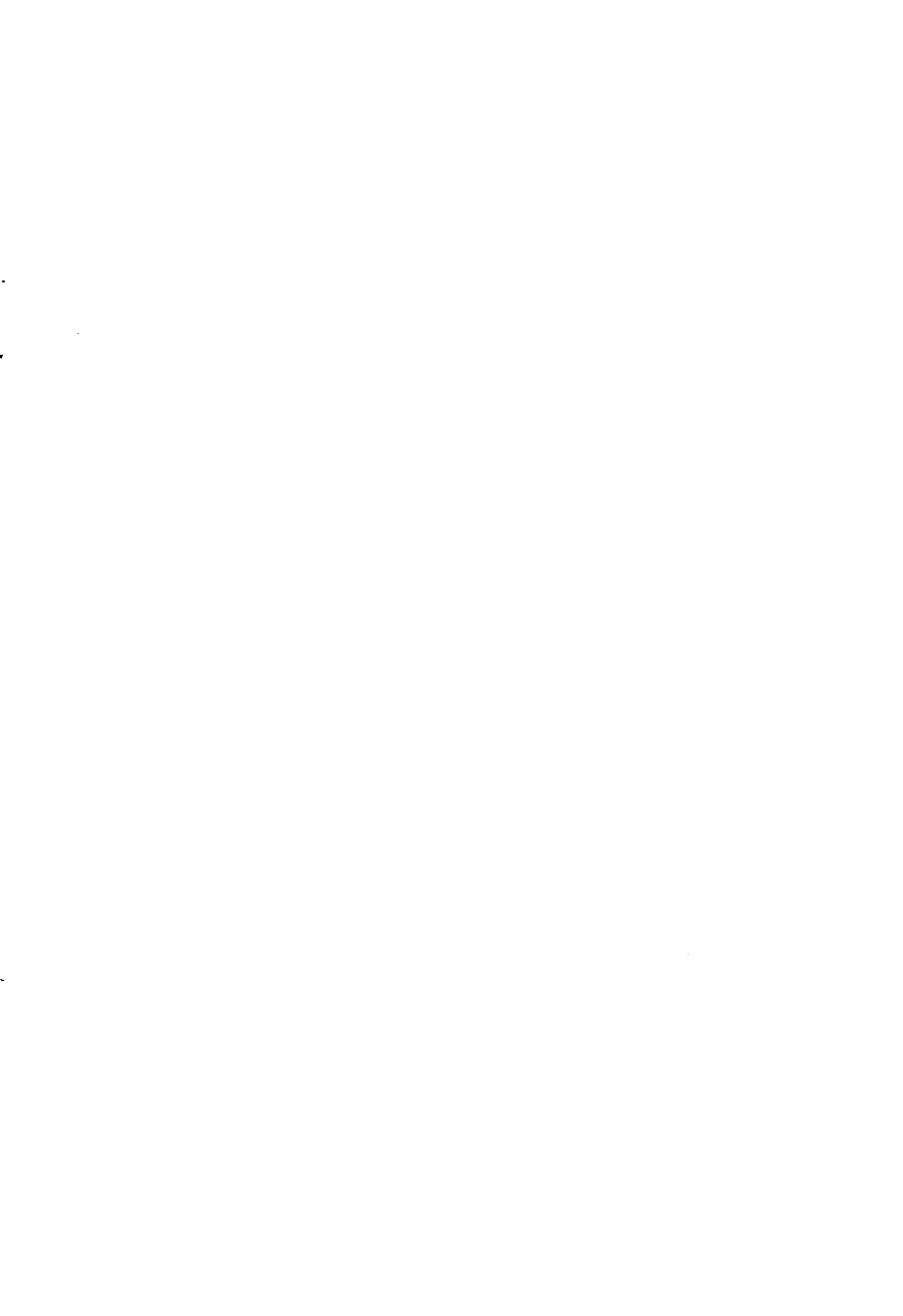
ويستدل من ذلك أن التغيير الذي حدث لمُقَدَّم المسجد قد تم قبل زيارة صاحب كتاب الإستبصار للمسجد ووصفه له في عام ٥٢٨هـ / ١١٣٣م.

ويذكر المقدسي أن المسجد النبوي الشريف " على عمل جامع دمشق"(١٨٦). أي على طرازه ونمطه، وبما أن الجامع الأموي كان ولا يزال محتفظاً بالبلاط -الرواق- الأوسط العمودي على جدار القبلة، فإن ذلك يعني أن تخطيط مُقَدَّم المسجد النبوي الشريف لم يكن قد حدث به أي تغيير حتى ذلك الوقت أي حتى الربع الأخير من القرن ٤هـ / ١٠.

مما تقدم نستطيع القول بأن التغيير الذي حدث لمُقَدَّم المسجد، قد تم في الفترة الواقعة فيما بين أواخر القرن ٤هـ / ١٠م، والربع الأول من القرن ٦هـ/ ١٢م.

وربما تزودنا المصادر التاريخية في المستقبل، بمشيئة الله تعالى، بمعلومات هامة عن إجراء عمارة أو مرمة في المسجد خلال تلك الفترة، يمكن بواسطتها أن نضع أيدينا على التاريخ الدقيق لحدوث هذا التغيير من جهة، وفي عهد أي من الخلفاء أو الأمراء قد أنجز من جهة ثانية.

(١٨٥) كاتب مراكشي، الاستبصار، ص ٣٧.
(١٨٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨١.



الخـــاتمة

وبعد، فإن هذا البحث قد عالج بالدراسة والتحليل ثلاث نقاط رئيسة، الأولى عن ابن عبد ربه وعِقْدِهُ، والثانية عن عمارة المسجد النبوي الشريف وتخطيطه في ضوء وصف ابن عبد ربه ومقارنه ذلك بما انتهت إليه الدراسات الآثارية السابقة، والثالثة عن عمارة المسجد االنبوي الشريف وتخطيطه بعد ابن عبد ربه وحتى الربع الأخير من القرن ٦هـ /١٢م.

وقد انتهت الدراسة إلى اثبات عدة نتائج جديدة يمكن استخلاص أبرزها في النقاط التالية:

١- **أثبتت الدراسة** أن ابن عبد ربه قد اعتمد في وصفه للمسجد النبوي الشريف على المشاهدة والرؤية، أثناء وجودة لأداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوي الشريف قبل عام ٣١٧هـ/٩٢٩م، وبذلك تم استبعاد الآراء القائله بأن هذا الوصف قد نقله ابن عبد ربه عن غيره ممن سبقه أو أنه قددس من بين مادس في الكتاب بعد وفاته في عام ٣٢٨هـ / ٩٣٩م.

٢- **اثبتت الدراسة** أن وصف ابن عبد ربه يعد أول وصف وصلنا يخلو من الروايات التاريخية المتباينة، حيث أنه قد ركز على ماشاهده ورآه بعيني رأسه، ولذلك فهو يعتبر بمثابة وصف فني شامل ومُركز حوى بين دفتيه العديد من الحقائق والتفاصيل المعمارية والفنية الدقيقه، ومن ثم فهو يعد أشمل وأدق وصف معماري وفني معروف لدينا عن المسجد النبوي قبل عام ٣١٧هـ / ٩٢٩م، وقد زودنا ابن عبد ربه في وصفه بقائمه لابأس بها من المصطلحات الفنية التي كانت شائعة

ومتداوله في بلاد المغرب والاندلس في ذلك الوقت، وهو الأمر الذي يساعدنا في دراسة وتطور هذه المصطلحات وما يقابلها في الأقطار العربية والإسلامية الأخرى.

٣- **أثبتت الدراسة** أن ماذكره ابن عبد ربه، إنما هو وصف لحالة المسجد النبوي الشريف ونظامه وتخطيطه عقب عمارة المهدي العباسي له.

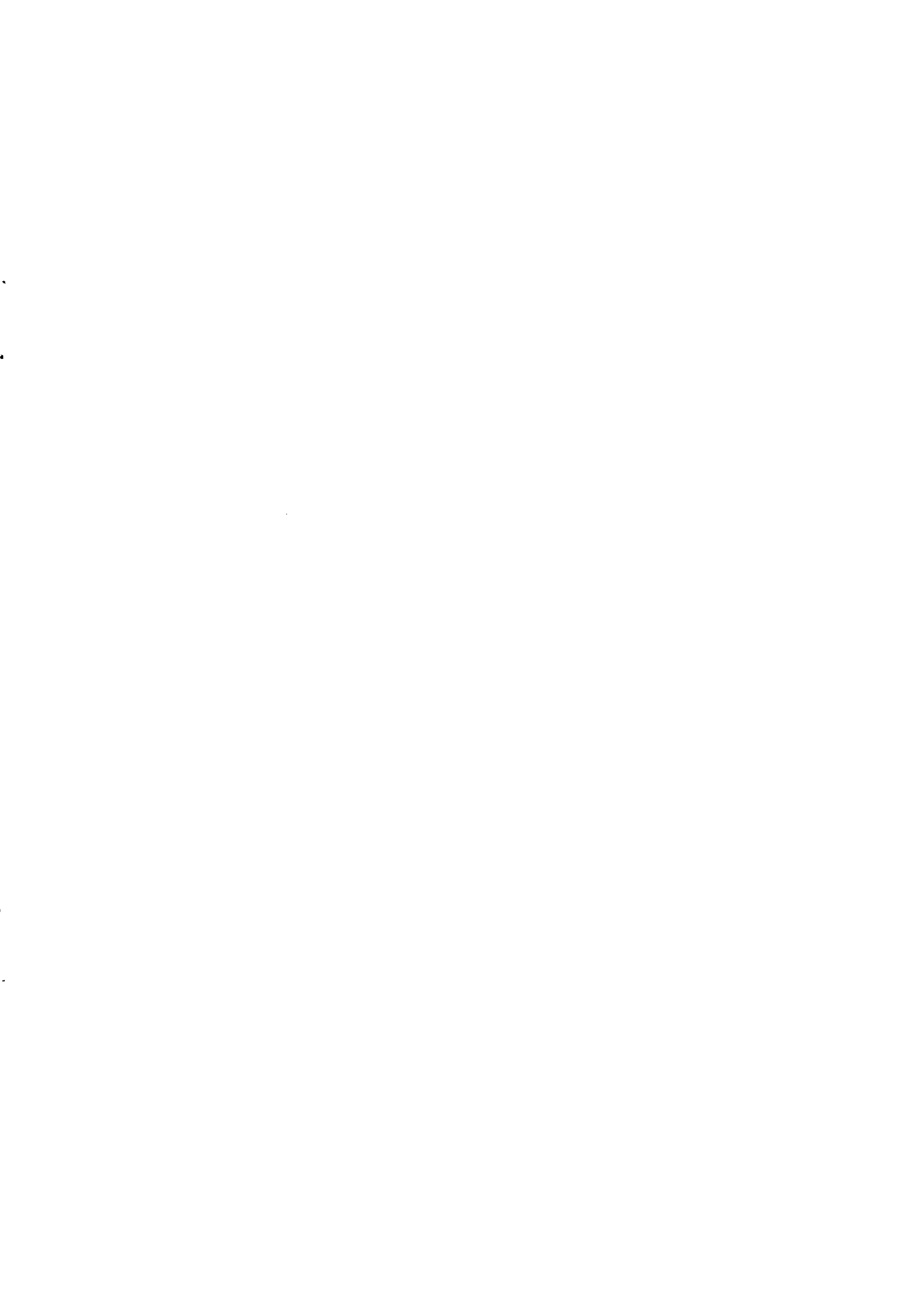
٤- **أثبتت الدراسة** أن ماذكره ابن جبير، إنما هو وصف لحالة المسجد النبوي الشريف ونظامه وتخطيطه، فيما بين عامي ٣١٧ - ٥٨٠هـ / ٩٢٩ - ١١٨٤م، وهي الفترة التي رجّحنا حدوث تغيير فيها لمُقَدَّم المسجد.

٥- **أثبتت الدراسة** أن مُقَدَّم المسجد النبوي الشريف، كان يشمل عقب عماره الوليد بن عبد الملك على رواق -بلاط- عمودي يقطع صفوف الأروقة -البلاطات- الخمسة، وكان يتجه من الصحن إلى حافة الرواق الأول تجاه المحراب، وقد استمر هذا الرواق إلى ما قبل عام ٣١٧هـ / ٩٢٩م، كما يستدل من مشاهدات ابن عبد ربه، وعلى ضوء ذلك، نرى أن هذا الرواق كان يمثل الأنموذج الأول في عمارة المساجد الإسلامية عامة، ويليه ما هو موجود في المسجد الأموي بدمشق والذي مايزال باقيا حتى الآن.

٦- **أثبتت الدراسة** أن الحظار المزّور الدائر حول القبر الشريف، كان ذا ستة أركان، وقد استمر على ذلك إلى ما قبل عام ٣١٧هـ / ٩٢٩م، ثم حدث تغيير له فيما بين هذا العام وعام ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م فأصبح مخمسا كما هو متفق عليه ومعروف حتى الآن، كذلك كانت الحجرة النبوية الشريفة مربعة ثم أصبحت مخمسة أيضا بعد ذلك.

٧- **أثبتت الدراسة** أن جميع المشروعات الهندسية التى رسمت للمسجد النبوي الشريف سواء في عهد الوليد أو في عهد المهدي لا تخلو من مآخذ وأخطاء تتراوح بين القلة والكثرة من مشروع لآخر (أشكال ١-٢، ٤-١٢)، ولذلك قام الباحث بعمل مشروع جديد (شكلا ١٣-١٤) تحاشى فيه هذه المآخذ وتلك الأخطاء.

وختامًا توصي هذه الدراسة بضرورة إعادة تحقيق كتاب العِقْدُ الفريد لابن عبد ربه، وذلك من قبل فريق عمل من المتخصصين في مجالات شتىٰ تاريخية ولغوية وأدبية وآثارية وغير ذلك، حتى يمكن أن نضع أيدينا على الصورة الحقيقية التي كان عليها هذا الكتاب الفريد كاسمه.



ثبت الاشكال

(شكل ١): مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك. عن: SAUVAGET .

(شكل ٢): منظور للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك. عن: Hillenbrand .

(شكل ٣): منظور للمسجد الأموي بدمشق (وما يعنينا منه هو الرواق – البلاط– الاوسط المعروف خطأ في المراجع الآثارية بالمجاز القاطع (TRANSEPT). عن Hillenbrand.

(شكل ٤): مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك. عن: Creswell .

(شكل ٥): مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك. عن أحمد فكري.

(شكل ٦): مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة المهدي العباسي. عن أحمد فكري.

(شكل ٧): مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك. عن صالح لمعي.

(شكل ٨): مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة المهدي العباسي. عن صالح لمعي.

(شكل ٩): مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك. عن محمد هزاع الشهري.

(شكل ١٠): مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة المهدي

العباسي عن. محمد هزاع الشهري.

(شكل ١١): مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك. عن ناجي محمد حسن.

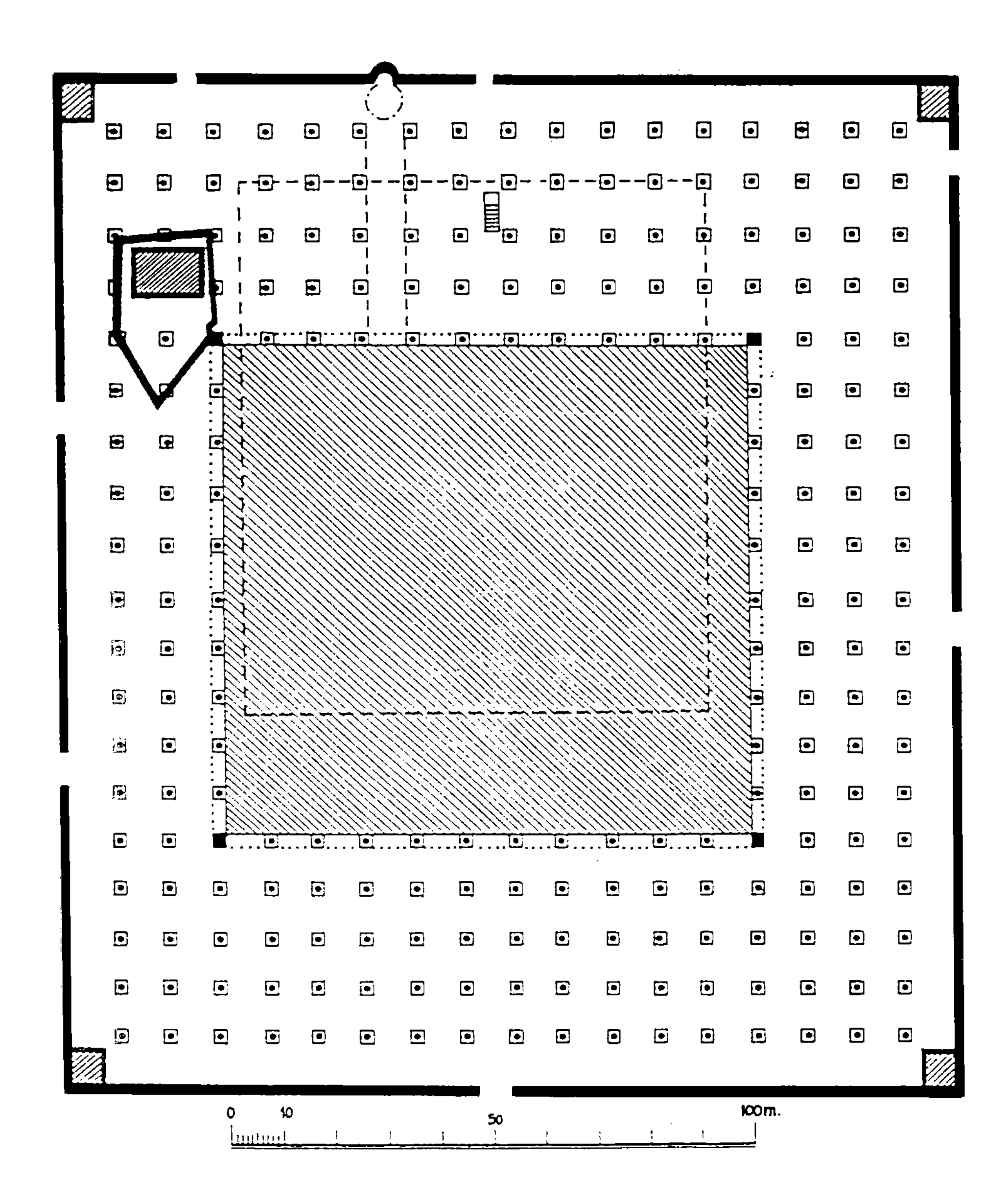
(شكل ١٢): مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة المهدي العباسي. عن ناجي محمد حسن.

(شكل ١٣): مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك (الباحث).

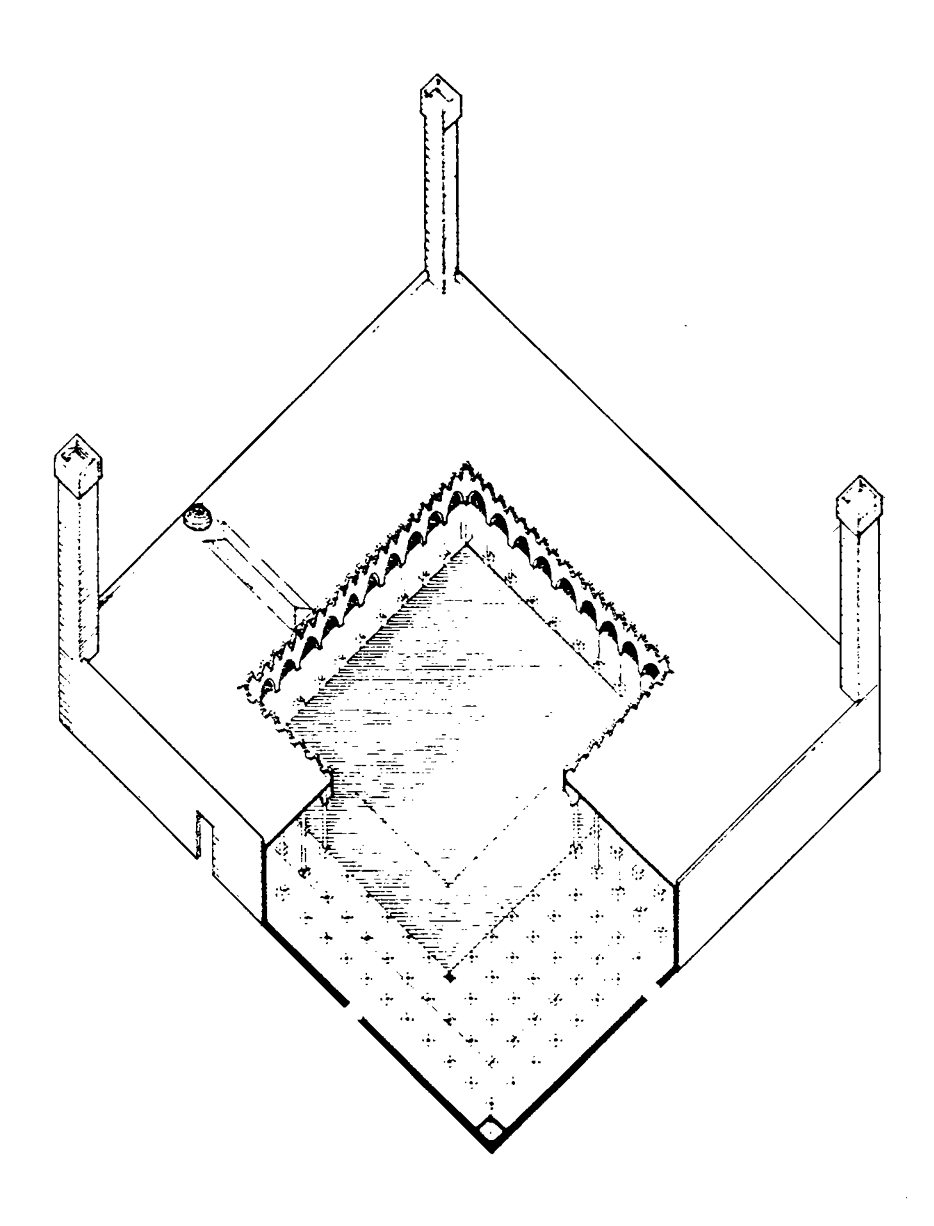
(شكل ١٤): مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة المهدي العباسي (الباحث).

(شكل ١٥): الكسوات الزخرفية بجدار القبلة كما تصورها SAUVAGET.

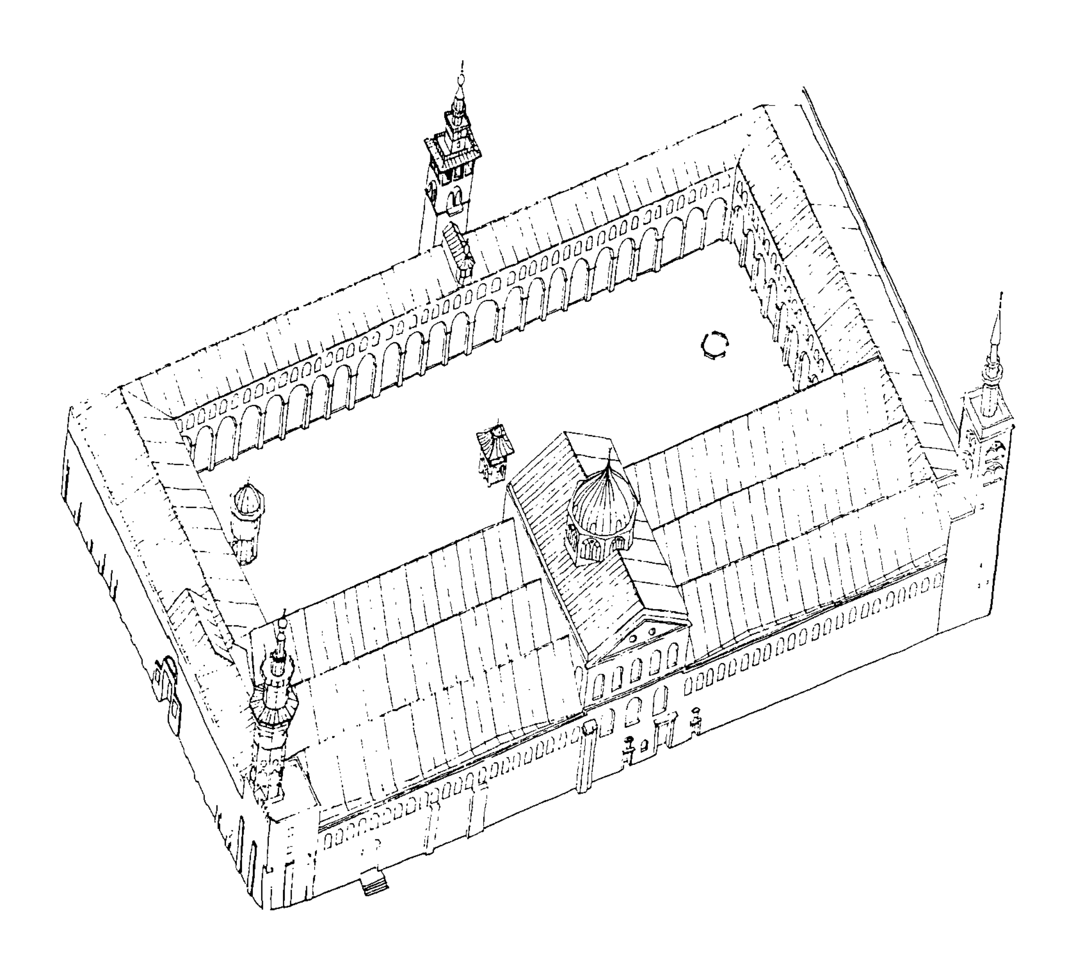
الأشكال



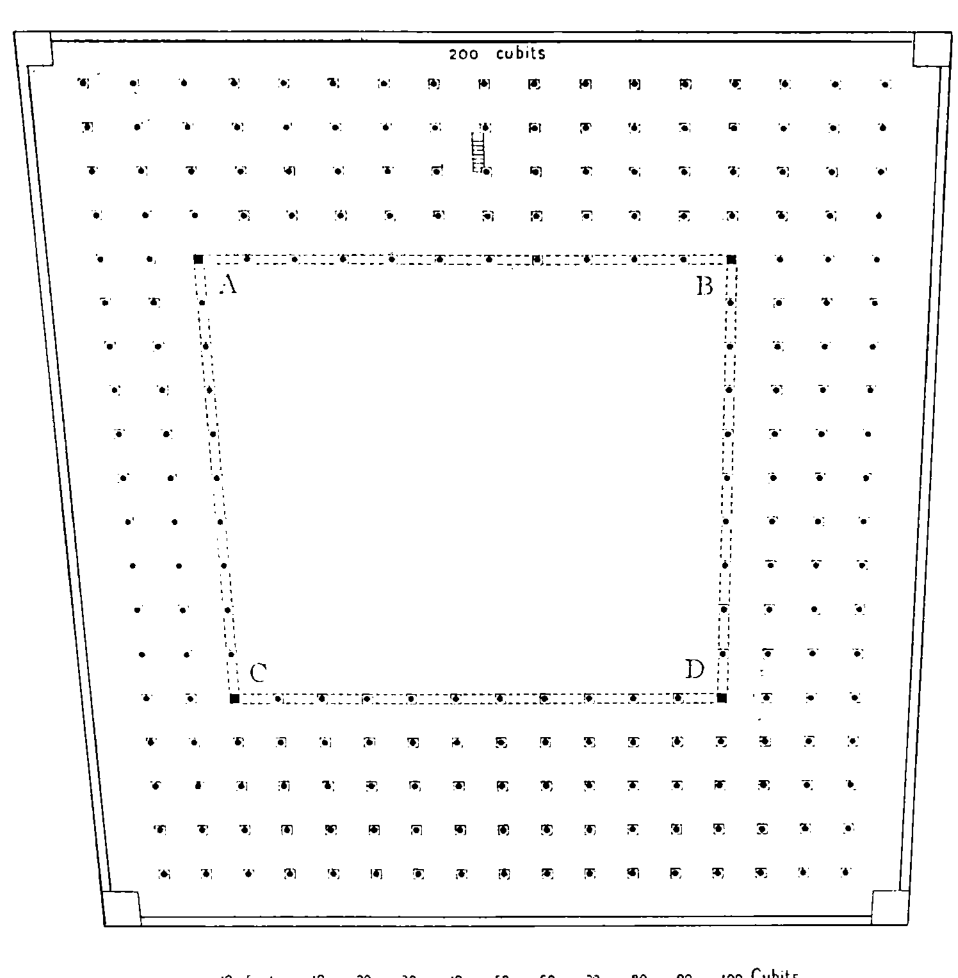
(شكل ١) : مسقط أفقي للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك. عن :
.SAUVAGET



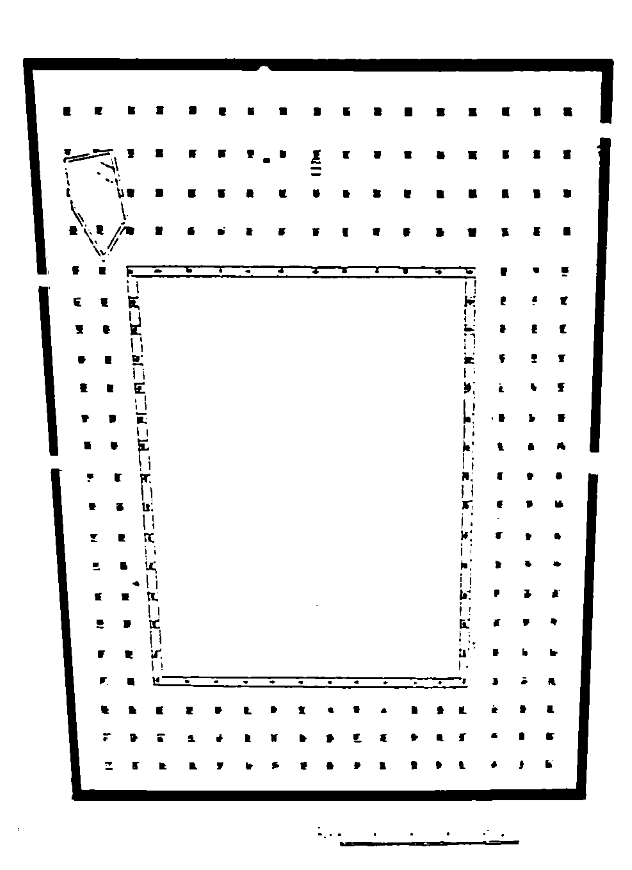
(شكل ٢) : منظور للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك. عن : Hillenbrand.



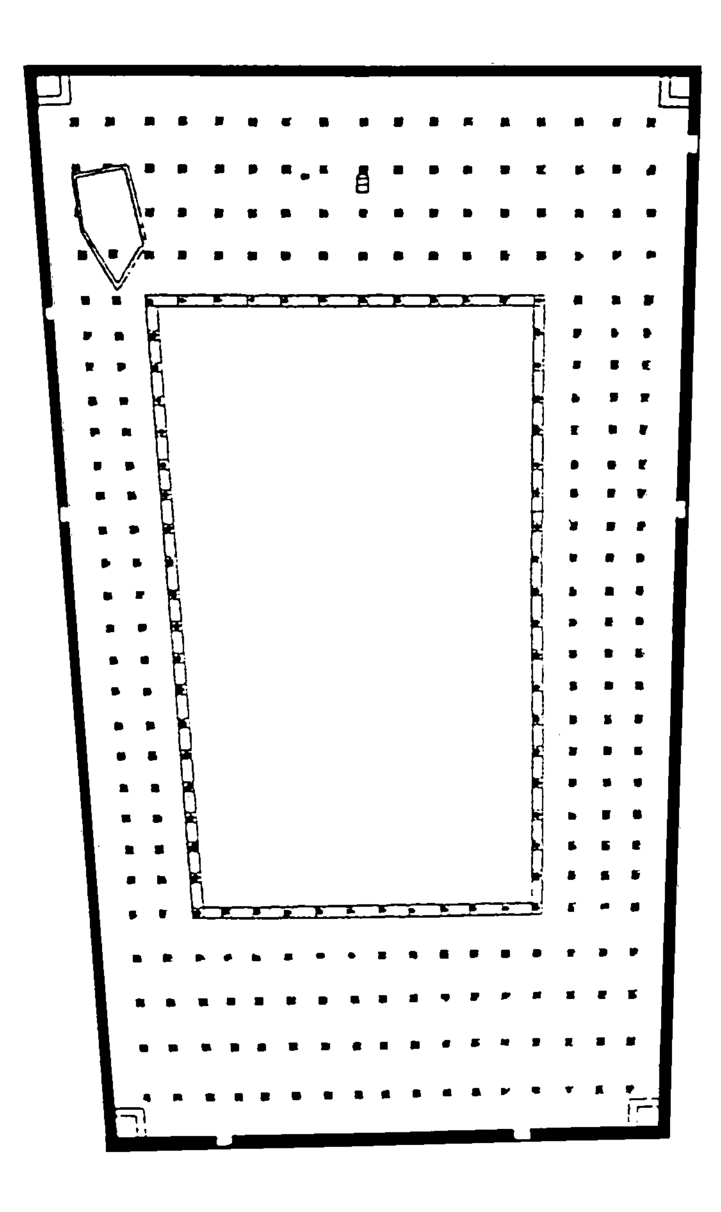
(شكل ٣) : منظور للمسجد الأموى بدمشق (وما يعنينا منه هو الرواق (البلاطه) الاوسط المعروف فى المراجع الأثارية بالمجاز القاطع TRANSEPT) . عن Hillenbrand.



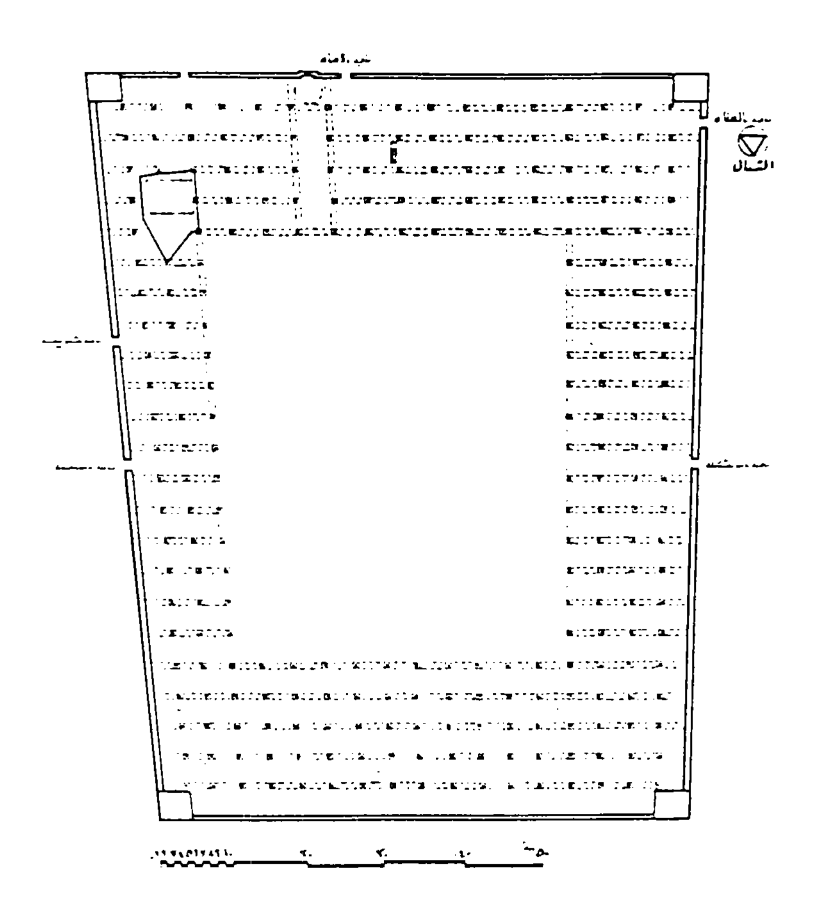
(شكل ٤) : مسقط أفقى للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك . عن : Creswell.



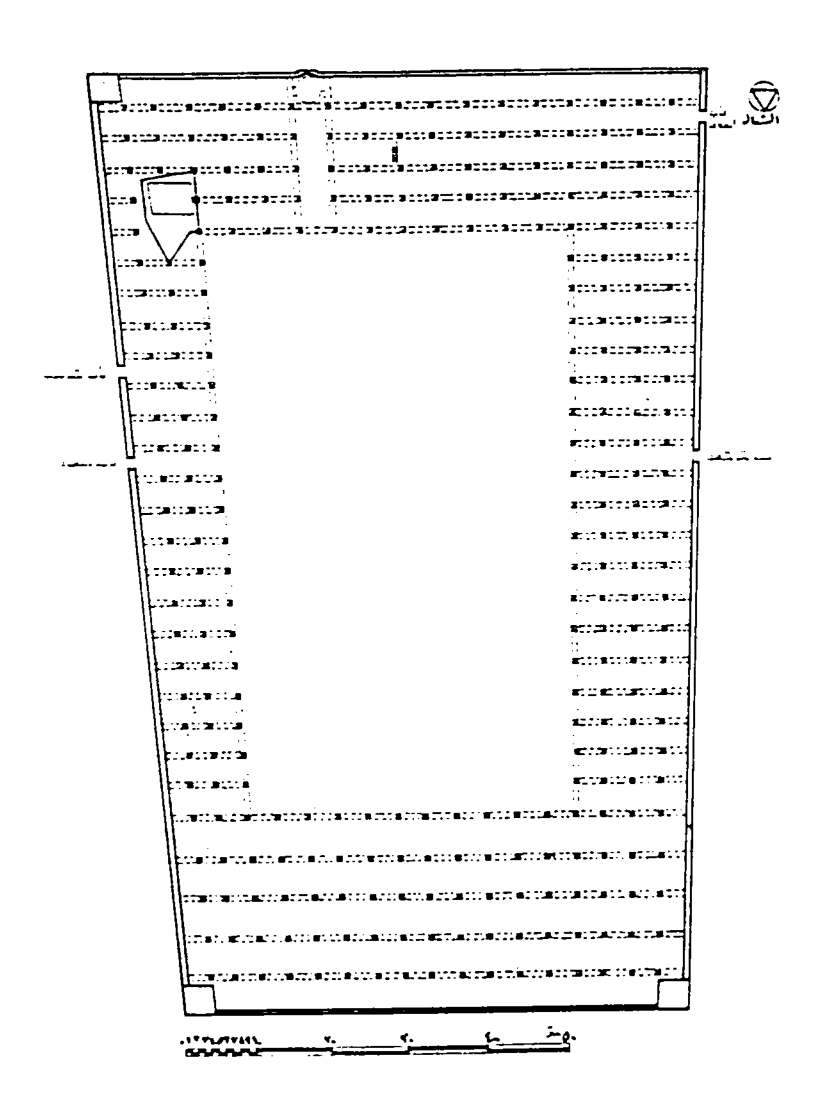
(شكل ٥) : مسقط أفقى للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك . عن أحمد فكرى.



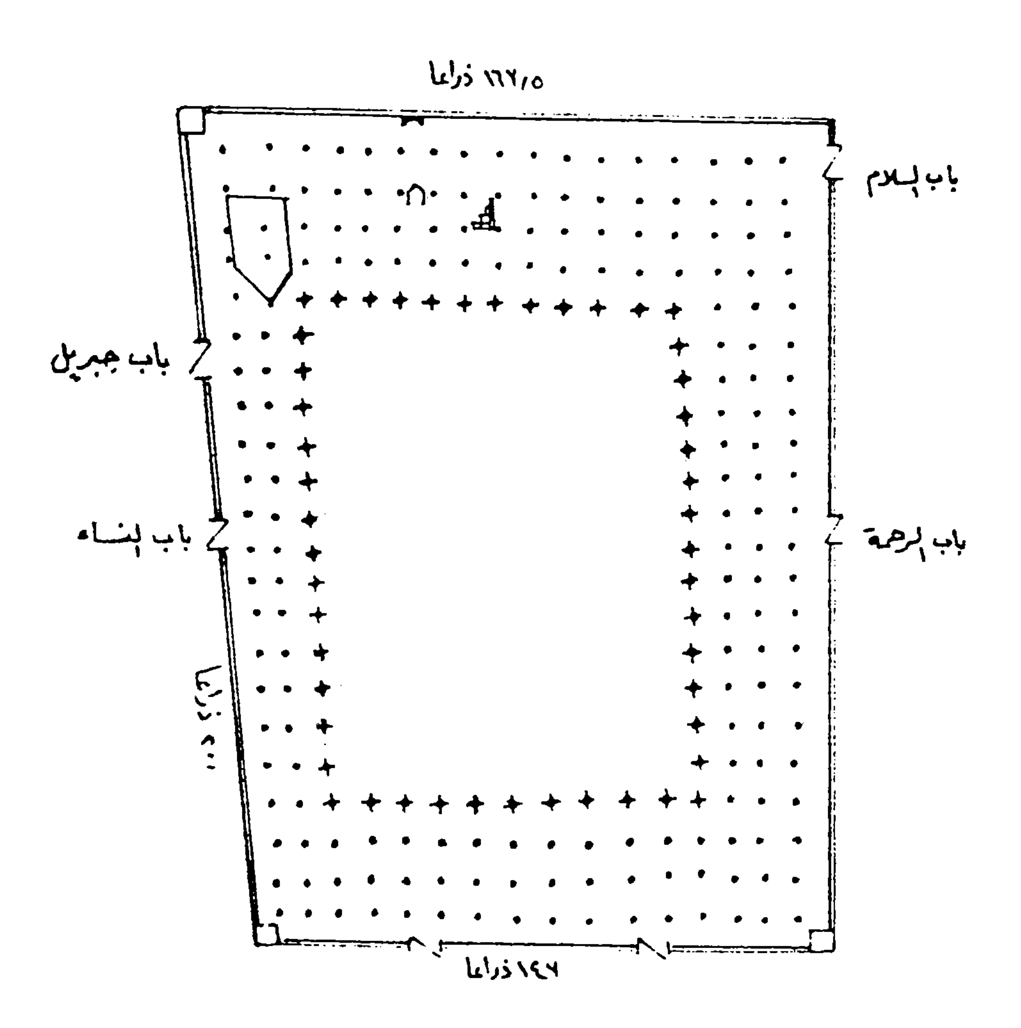
(شكل ٦) : مسقط أفقى للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة المهدى العباسى . عن أحمد فكرى.



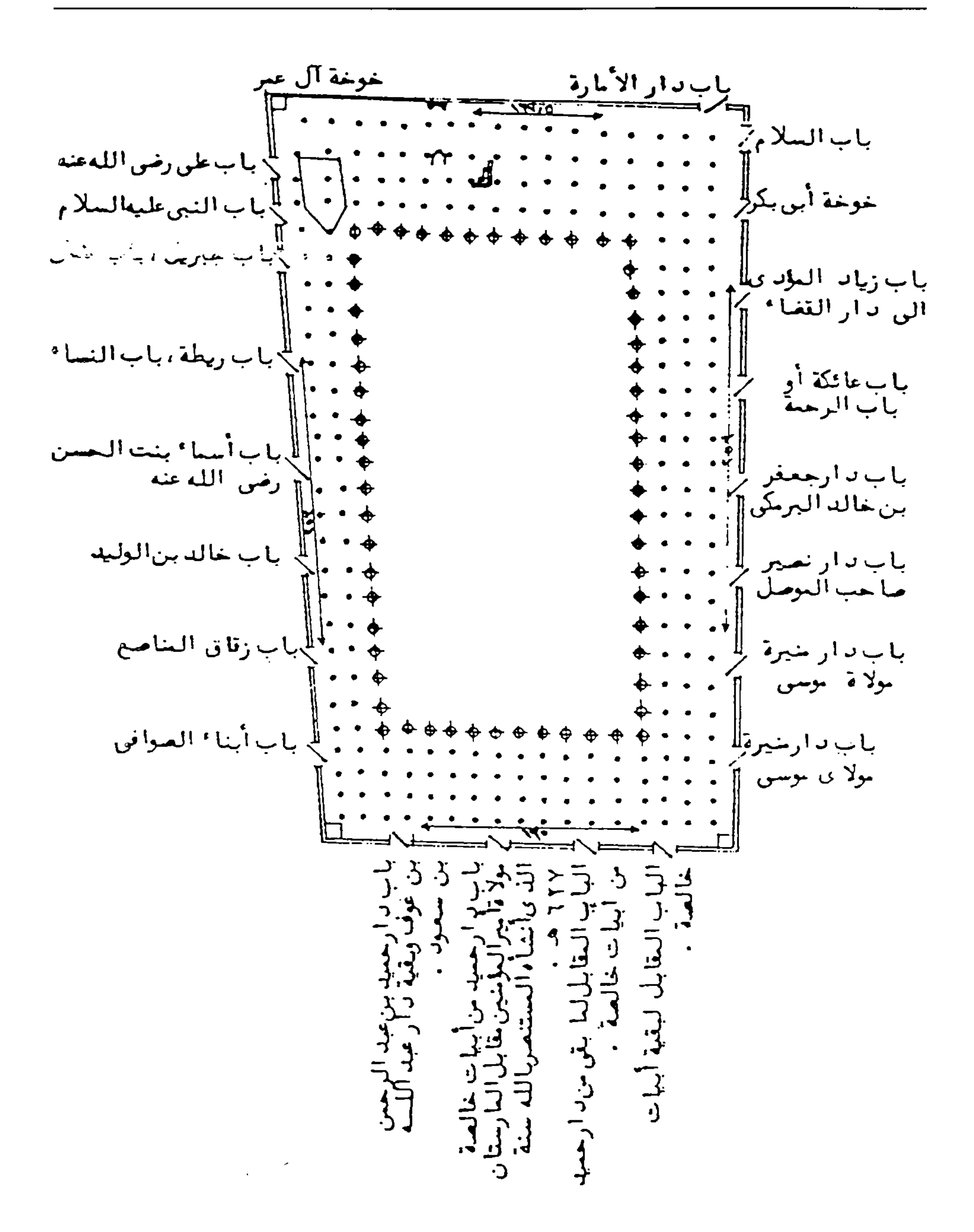
(شكل ٧) : مسقط أفقى للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك . عن صالح لمعى.



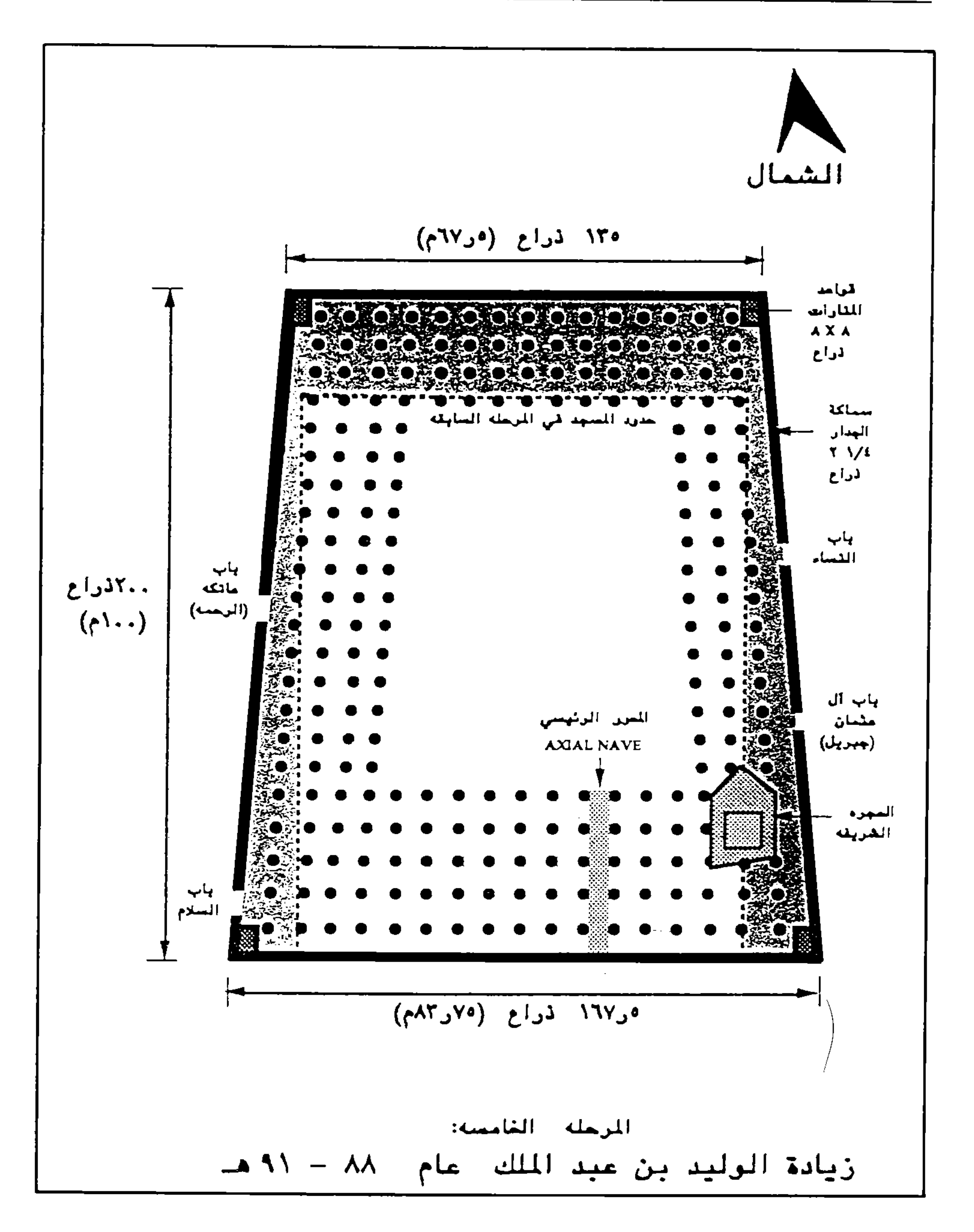
(شكل ٨) : مسقط أفقى للمسـجد النبـوى الشـريف عقـب عمـارة المهـدى العباسـى . عـن صـالح لمعى.



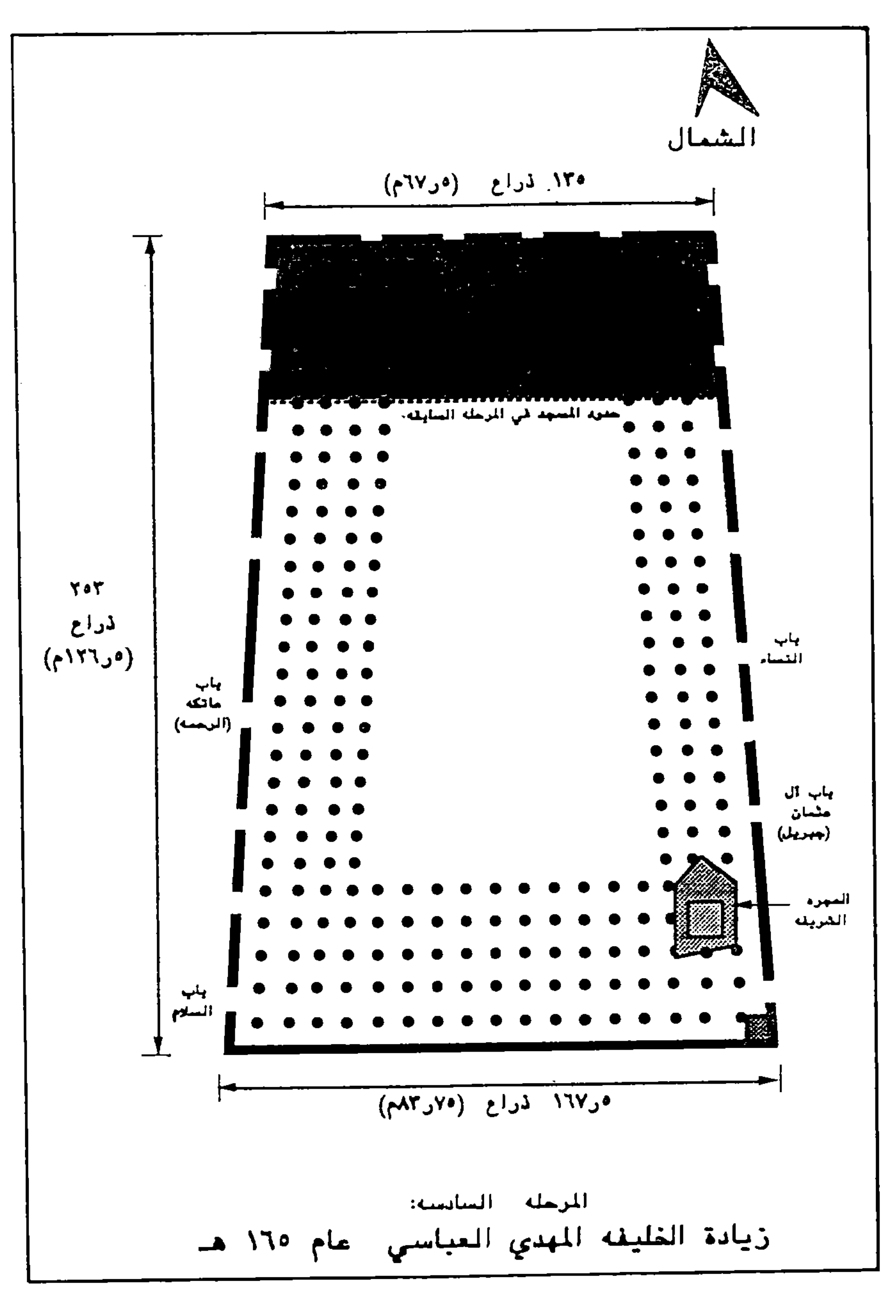
(شكل ٩) : مسقط أفقي للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك . عن محمد هزاع الشهرى.



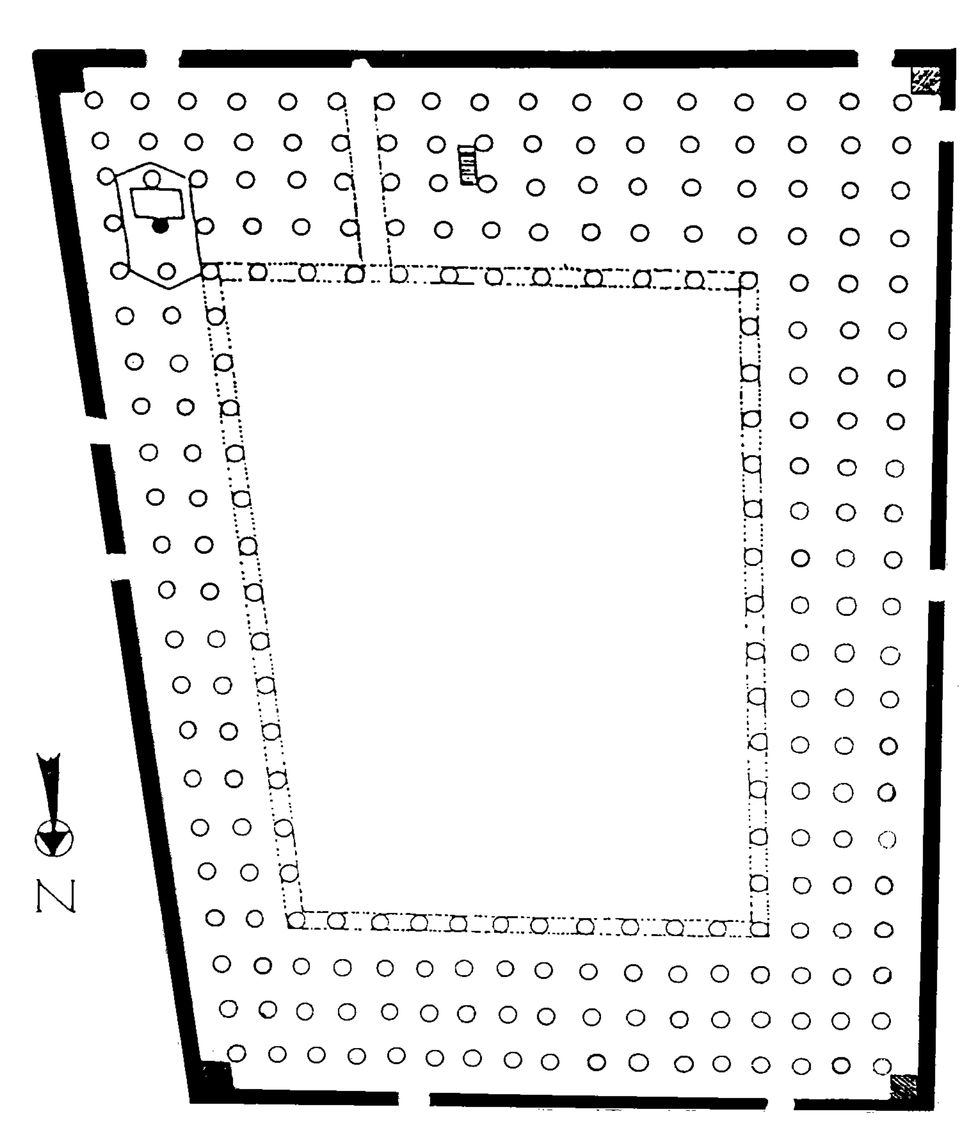
(شكل ١٠) : مسقط أفقى للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة المهدى العباسى عن . محمد هزاع الشهرى.



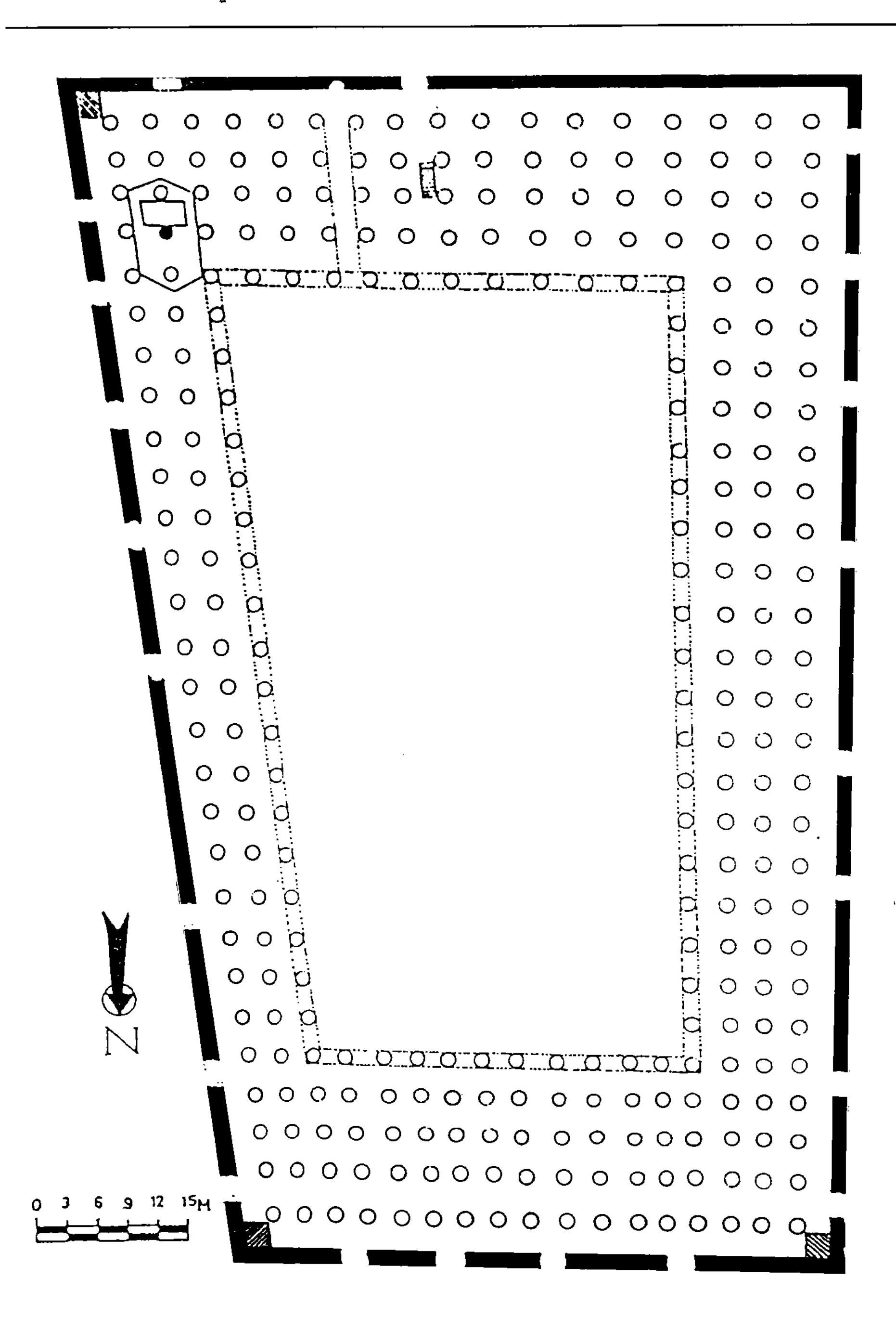
(شكل ١١) : مسقط أفقي للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك. عن ناجى محمد حسن.



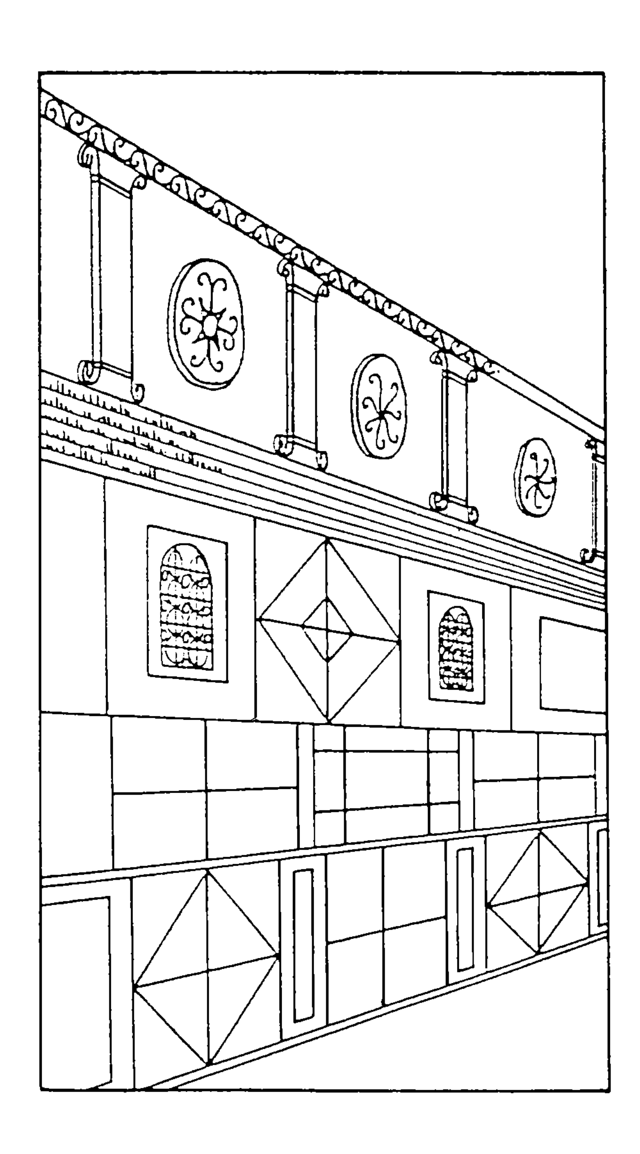
(شكل ١٢) : مسقط أفقى للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة المهدى العباسى. عن ناجى محمد حسن.



(شكل ١٣) : مسقط أفقى للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك (الباحث).



(شكل ١٤) : مسقط أفقى للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة المهدى العباسى (الباحث).



(شكل ١٥) : الكسوات الزخرفية بجدار القبلة كما تصورها SAUVAGET.

المصادر والمراجع*

* تقتصر هذه القائمة على المصادر والمراجع الرئيسة فحسب، أما ماعداها فهو مدون في الهوامش أسفل صفحات البحث.

أولاً : – المصادر العربية :

ابن جبير، أبي الحسن محمد بن أحمد، ت ٦١٤ هـ/ ١٢١٧م، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة بـ " رحلة ابن جبير بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط٢، (١٩٨٦م).

ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد، ت ٦٨١هـ/١٢٨١م، وفيات الاعيان وإنباء أبناء الزمان، مج١، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دارصادر، (١٩٦٨م)،

ابن رسته، أبي علي أحمد بن عمر، ت بعد ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م، الأعلاق النفيسة، المجلد ٧، بيروت، دار إحياء التراث العربي (١٩٨٨م)،

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م، العِقْدُ الفريد، تحقيق أحمد أمين (وأخرون)، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط٣، (١٩٦٨م).

ابن الفقيه، أبي بكر أحمد بن محمد الهمداني، ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م أو ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م، مختصر كتاب البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (١٩٨٨م).

ابن قتيبه، أبي محمد عبد الله بن مسلم، ت ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩م، عيون الأخبار، المجلد الأول، الجزءان ١ – ٢، تحقيق يوسف علي طويل، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٩٨٥م) المجلد الثاني، الجزءان ٣ – ٤، تحقيق مفيد محمد قميحه، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

.........، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة، مطبعة دار الكتب، (١٩٦٠م).

ابن النجار، الحافظ محمد بن محمود، ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، أخبار مدينة الرسول المعروف بالدرة الثمينة، تحقيق صالح محمد جمال، مكة المكرمة، مطبعة الرسالة، (١٩٤٦م)،

البرزنجي، جعفر بن السيد اسماعيل المدني،

نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والأخرين، تحقيق أحمد سعيد بن سلم، القاهرة، مكتبة الرفاعي، (١٩٩٥م).

البكري (أبي عبيد) ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م،

المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمه والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، (١٩٩٢م)،

البلوي، خالد بن عيسى،

تاج المفرق في تحلية علماء المشرق جزءان، تحقيق الحسن السائح، المحمدية، المغرب، مطبعة فضالة، د.ت،

البلاذري، أحمد بن يحيى، ت ٢٧٩هـ/٨٩٢ م، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله الطباع وعمر الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، (١٩٨٧م)،

الحربي، الإمام أبواسحاق، ت ٢٨٥ هـ/ ٨٩٨م،

كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، ط ٢، (١٩٨١م).

الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م،

معجم البلدان، بيروت دار إحياء التراث العربي، (١٩٧٩م)

خسرو، ناصر، ت ٤٥٢/ ١٠٦٠م،

سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، بيروت، دار الكتاب الجديد ط٢، (١٩٧٠م)،

.........، سفر نامه، ترجمة أحمد خالد البدلي، الرياض، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، (١٩٨٣م).

الدينوري، أحمد بن داود، ت ٢٨٢ هـ/ ٨٩٥م،

الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، الاقليم الجنوبي، سلسلة تراثنا،(١٩٦٠ م)،

السمهودي، نور الدين علي بن أحمد، ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م،

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ٤ أجزاء، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٤، (١٩٨٤م).

الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢م،

تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، ١٠ أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)،

العباسي، أحمد بن عبدالحميد،

عمدة الأخبارفي مدينة المختار، نشر أسعد الحسيني، د. م، ط٢، د.ت.

الفيروز ابادي، مجد الدين أبي الطاهر، ٨٢٣هـ/١٤١٥م،

المغانم المطابة في معالم طابه، تحقيق حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، (١٩٦٩م).

كاتب مراكشي، القرن ٦هـ/ ١٢م، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية،، د.ت،

المراغي، زين الدين أبي بكر بن الحسين بن عمر أبي الفخر، ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ط٢، (١٩٨١م)،

المطري، جمال الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد، ت ٧٤١ هـ/ ١٣٤٠م،

التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، تحقيق محمد بن عبد المحسن الخيال، نشر أسعد درا بزوني الحسيني، د .م (١٩٥٢م)،

المقدسي، محمد بن أحمد المعروف بالبشاري، ت بعد ٣٧٥هـ/ ٩٨٧م،

أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، لندن، مطبعة بريل، (١٩٠٤م)،

المقّري، أحمد بن محمد، ت ١٠٤١ هـ/ ١٦٣١م.

نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب مج٢، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، (١٩٦٨م).

النهروالي، قطب الدين محمد، ت ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م،

تاريخ المدينة، تحقيق أبي عبد الله محمد حسن، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، (١٩٩٧م)،

ثانياً : المراجع العربية :

أمين، أحمد "العِقْدُ الفريد"، مجلة الثقافة، السنه٢، العدد ٩٤، (الثلاثاء ١٣ رمضان ١٣٥٩هـ/ ١٥ أكتوبر ١٩٤٠م).

الأنصاري، عبدالقدوس، مع ابن جبير في رحلته، القاهرة، المطبعة العربية الحديثة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

الباشا، حسن، مدخل إلى الآثار الإسلامية، القاهرة، دار النهضة العربية، (١٩٧٩م)؛

..........، أثر عمارة عثمان بن عفان في المسجد الحرام في تخطيط المساجد وفي العمارة الإسلامية، ضمن كتاب: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، جـ٢، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)،

البتنوني، محمد لبيب،

الرحلة الحجازية، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية،ط٢، د.ت،

بكر، سيد عبد المجيد، أشهر المساجد في الإسلام، ج١، جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)،

بهنسي، عفيف، الفن العربي الإسلامي في بداية تكونه، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

......، الجامع الاموي الكبير، دمشق، دار طلاس، (١٩٨٨م)

بورويبه، رشيد، مسجد المدينة في حدائق الكتب الثمينة، ضمن كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الأول، تحرير عبد الرحمن الأنصاري وآخرون، مطبوعات جامعة الرياض، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)،

الجاسر، حمد، رسائل في تاريخ المدينة، الرياض، دار اليمامة، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)،

جبور، جبرائيل، ابن عبد ربه وعِقْدُهُ، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٢، (١٩٧٩م).

حافظ، علي، فصول من تاريخ المدينة المنورة، جدة، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، ط٢، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

الحداد، محمد حمزه اسماعيل، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية» القاهرة، دار نهضة الشرق، (١٩٩٦م)

.........، بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية، الكتاب الأول، القاهرة، دار نهضة الشرق، (١٩٩٧م).

.........، المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، قيد النشر.

حسن، ناجى محمد، عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، المدينة المنورة، اصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي، الكتاب رقم ٩٥، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

حميده، محمد، عمارات المسجد النبوي وتوسعته عبر التاريخ، مؤسسة المدينة، العدد ٧٧ (شعبان ١٤١٠هـ/١٩٨٢م).

أبو خلف، مروان فايز، «الزخارف الأموية في المسجد النبوي الشريف»، مجلة العصور، مج٩، ج١، الرياض، دار المريخ، (رجب ١٤١٤هـ/ يناير ١٩٩٤م).

..........، الأفاريز الرخامية المحفورة والمذهبة في العهد الأموي في قبة الصخرة المشرفة في القدس، ضمن فعاليات المؤتمر الرابع لتاريخ بلاد الشام في العهد الأموي، الندوة الثالثة، تحرير محمد عدنان البخيت، عمان (١٩٨٩م).

خلوصي، محمد ماجد عباس، عمارة المساجد، بيروت، دار قابس، (١٩٩٨م).

الخياري، السيد أحمد ياسين أحمد، تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، جدة، دار العلم، ط ٤، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

رجب، أحمد، رسوم المسجد الحرام والمسجد النبوي وقبة الصخرة على الآثار والفنون العثمانية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة القاهرة، (١٩٩٣م)،

رجب، عمر الفاروق السيد، المدينة المنورة، جدة، دار الشروق، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

رفعت، ابراهيم، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، جزءان، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط٢، د. ت.

الريحاوى، عبدالقادر، العمارة العربية الإسلامية، خصائصها وآثارها في سورية، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (١٩٧٩م)؛

.........، العمارة في الحضارة الإسلامية، جدة، مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

الزيلعي، أحمد عمر، مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١ - ٤٨٧هـ)، الرياض، عمادة شؤون المكتبات - جامعة الرياض (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)،

شافعي، فريد، العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٠م)؛

.........، العمارة العربية الإسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، الرياض، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، (١٩٨٢)،

شراب، محمد محمد حسن، المدينة في العصر الأموي، المدينة المنورة، مكتبة دار التراث، دمشق، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)،

الشنقيطي، غالي محمد الأمين، الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين، جدة، دار القبلة، بيروت مؤسسة علوم القرآن، ط٤، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)،

الشهري، محمد هزاع، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، غير منشورة، مكة المكرمة، قسم الحضارة والنظم الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)،

عباس، حامد، قصة التوسعة الكبرى، جدة، نشر مجموعة بن لادن السعودية، (١٩٩٥م)،

عبدالحميد، سعد زغلول، العمارة والفنون في دولة الإسلام، الإسكندرية، منشأة المعارف، (١٩٨٦م).

عبد الغني محمد الياس، بيوت الصحابة، رضي الله عنهم حول المسجد النبوي الشريف، المدينة المنورة، مركز طيبة للطباعة، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

.........، تاريخ المسجد النبوي الشريف، المدينة المنورة، مطابع المجموعة الإعلامية، ط٢، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

العلى، صالح أحمد، الحجاز في صدر الإسلام، دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

فكرى، أحمد، مساجد القاهرة ومدارسها، المدخل القاهرة دار المعارف، (١٩٦١م)؛

.........، مساجد القاهرة ومدارسها، ج١، العصر الفاطمي، القاهرة، دار المعارف، (١٩٦٥م).

الكحلاوي، محمد محمد، «مقاصير الصلاة في العصر الإسلامي»، مجلة كلية الآثار، العدد ٣، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، (١٩٨٩م)،

لمعي، صالح، المدينة المنورة، تطورها العمراني وتراثها المعماري،، بيروت، دارالنهضة العربية، (١٩٨١م).

ماهر، سعاد، العمارة الإسلامية على مر العصور، جزءان، جدة، دار البيان العربي، (١٩٨٥)،

المعهد العربي لإنماء المدن، المساجد في المدن العربية، توطئة لموسوعة المساجد، الرياض، (١٩٩٠م)،

المنوني، محمد، الجزيرة العربية في الجغرافيا والرحلات المغربية وماإليها، ضمن كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج٢، تحرير عبدالرحمن الأنصاري وآخرون، مطبعة جامعة الرياض (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

مؤنس، حسين، المساجد، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٧، المجلس الوطني للثقافه والفنون والآداب، صفر – ربيع الأول، (١٤٠١ هـ/ يناير ١٩٨١م)،

نادى المدينة المنورة الأدبي، دراسات حول المدينة المنورة، الكتاب رقم ٩٨، المدينة المنورة (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

نايف، وجدان على، سلسلة التعريف بالفن الإسلامي (١) الأمويون، الأندلسيون، عمان، دار البشير، (١٩٨٨ م)،

نويصر، حسني، الآثار الإسلامية، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، (١٩٩٨)،

الوكيل، محمد السيد، المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ، جدة، دار المجتمع، (١٩٨٨م)،

يحيى، سوسن سليمان، آثارنا الإسلامية، العمارة في صدر الإسلام والعصر العباسي الأول – القاهرة، دار نهضة الشرق، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)،

ثالثًا : المراجع الأجنبية :-

-Castejan , R ,La Mezquita al Jama de Cordoba ,Spain, (1979)

- Creswell, K. A. C., Early Muslim Architecture, 2 vols, second Edition, Oxford, The Glarenden Press, (1969).
- Creswell and Allan, J. W, A short Account Of Early Muslim Architecture, A. U. C, (1989).

-Ferrier, R, W, The Arts of Persia, New Haven, London, Yale University Press, (1989).

- Hillenbrand, R, Islamic Architecture, New-York, Columbia University Press, (1994).
- Hoag, J, Islamic Architecture New-york, Harry N. A Brams, INC, (1977).
- Sauvaget, j. La Mosquee OMeyyade De Medime, Paris, Editions et d'Histoires, (1947).